هرمنيوطيقا الزمن عند السوفسطائيين

The Sophists :Hermeneutics of Time

د. شرف الدين عبد الحميد أمين

أستاذ الفلسفة إلىونانية المساعد

كلية الآداب - جامعة سوهاج

مقدمة

"الزمن"!

تلك الكلمةُ التي حيرتِ الفلاسفةَ والعلماءَ والأدباء. الكلمةُ التي يمكنُ أنْ تُلخِصَ أهمَ وأكبرَ الإشكالياتِ الفلسفيةِ، عبر التاريخ الإنساني كلِه. إنَّ المشكلاتِ الكبرى من قبيل: "**الأزلي– الأبدي**"،"**الثبات– الصيرورة**"،"**القِدَم– الحُدُوث**"،"**الوجود– العدم**"، "**الخُلود– الفناء**"،"**المطلق– النسبي**"، "**الإلهي– الإنساني**"إلخ.. كلها إشكالياتٌ يلعبُ تأويلُ الزمن[1] فيها الدورَ الرئيس. إنَّ الإنسانَ **كائنٌ"متزمنٌ"؛ ويسبح في بحرِ الزمن؛ وهرمنيوطيقا تزمنه تعني تأويله: فيزيقيًا وميتافيزيقيًا.**

إنَّه لكي نفحَصَ فكرةَالزمن تواجهنا صعوبةُ حَدِهِ منطقياً؛ فأول شيء علينا أنْ نبدأَ بعدم تعريفه؛ لأنه إذا بدأنا بتعريفِه تفلّتَ منا؛ذلك لأنَّ مفهومَ الزمن– مثل مفهوم الوجود– لا جنسَ له، ولا فصلَ له، ولا خاصةَ له، حتى يمكنَ حَدَّهُ منطقياً؛ فهو– في تقديري–**مفهومٌ بَدَهِيٌ ومُشْتَرَكٌ مَعْنَوي.** وحلاً لهذه الصعوبةِ سنفحصُ"**صورَالزمن**" بدلاً من "**حَدّهِ**"؛ لنتعرف طبيعتَه وجوهرَه وماهيتَه، عند الفلاسفة السوفسطائيين. وثمة صعوبة أخرى تتعلق بالنصوص التي سوف نفحصها؛ فإنَّ ما وردَ بخصوص الزمن، عند الفلاسفة السابقين على سقراط،ليس إلا مجرد "**إشارات في شذرات**"، ولكنها إشارات كافية، بل ثرية، ومدهشة، طالَ عدمُ الانتباهِ إليها.

يتمثلُ هدفي من هذا البحث في فحص هرمنيوطيقا الزمن عند السوفسطائيين. ويتطلبُ فهمُ هرمنيوطيقا الزمن عند السوفسطائيين أنْ نعرضَ لهرمنيوطيقا الزمن عند الفلاسفة إلىونان الأوائل، السابقين على السوفسطائيين، بل ويتطلبُ ذلك الرجوعَ إلى هرمنيوطيقا الزمن في الميثولوجيا إلىونانيةِ القديمةِ، عند الثلاثي اللاهوتي:**هوميروس وهسيودوس وأورفيوس. وذلك لنتمكنَ من تحليلِ بنيةِ صورةِ الزمن، عبر مراحلِ تكوينِها وتطورها، لا مجردَ سردٍ تاريخي لها.**

وعليه؛ تتجلى **إشكاليةُ البحثِ** الرئيسةِ في محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

---

(١)جمَعَ علماءُ اللغة بينَ الزّمَن والزّمان في تعريفٍ واحدٍ: الزَّمَنُ والزَّمانُ اسمٌ لقليل الوقت وكَثيره، وفي مُعجَم المُحكم: الزَّمَنُ والزَّمانُ العَصْرُ، والجمع أَزْمُن وأَزْمان وأَزْمِنة.

- ما نوعيةُ **صورِ الزمن**، في الميثولوجيا الثيولوجية القديمة عند: **هوميروس، وهوسيودوس، وأورفيوس؟** وهل يمكن استخلاصُ **صورةٍ لطبيعةِ الزمن الميثولوجي عندهم؟**
- ما جوهرُ **صورِ الزمن**، عند الفلاسفة السابقين على السوفسطائيين؟ وهل يمكن استنباطُ **صورةٍ لجوهرِ الزمن الميتافيزيقي** عندهم؟
- ما طبيعةُ **صورِالزمن** عند السوفسطائيين؟ وما **الصورةُ المختلفةُ للزمان**، التي قدَّموها خلافًا لصورة الزمن الميثولوجي، التي أبدعتها مُخَيلةُ الشعراءِ اللاهوتيين، والمغايرة– أيضًا– لصورةِالزمن الميتافيزيقي، التي صاغها الفلاسفةُ السابقون عليهم؟

للإجابةِ عن هذه التساؤلاتِ، وغيرِها، أحاولُ– من خلال **منهج هرمينوطيقي**(١)– فحصَ"**هرمنيوطيقا الزمن عند السوفسطائيين**"، أولئك الفلاسفة الذين قدَّمُوا تأويلاً جديداً لفكرةِ الزمن وعلاقتِه بالإنسانِ والألوهية؛ وعليه أسّسوا أفكارَهم الرئيسةَ في:**النسبيةواللاأدرية، وأنثروبولوجيا الدين، والأنثروبو– مركزية، والتقدم**، وغيرها من الأفكار التي كان لها تأثيرُها الحاسمُ في فلاسفة عصر التنوير، وحتى الفلاسفة المعاصرين.

وعليه؛ أُقسّمُ البحثَ إلى ثلاثةِ محاورَ رئيسةٍ:

- **الهرمنيوطيقا الثيولوجية للزمان الميثولوجي.**
- **الهرمنيوطيقا الفلسفية للزمان قبل السوفسطائيين.**
- **التأويل الأنثروبو– مركزي للزمان عند السوفسطائيين.**

---

(١)Hermeneutics (فنُّ الفهم، ومنهجُ تأويلِ النصوص):تأتي كلمة هرمنيوطيقا (ἑρμηνευτική) من الفعل إلوناني (ἑρμηνευειν) ويعني "يفسر" أو يؤوِّل. ويؤوَّل في إلونانية له معانٍ ثلاثة: ١. يعبر بصوت عالٍ في كلمات، أي "يقول" أو "يتلو"، ٢. يشرح، ٣. يترجم (د.عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ص ٣٤–٣٥). والاسم (ἑρμηνεια)، ويعني تفسير أو تأويل؛ وهو متعلق بعنوان كتاب أرسطو(περι ἑρμηνείας). الذي ترجم إلى العربية بـ(العبارة). ويبدو أن كليهما يتعلق لُغوياً بالإله هيرميس (Ἑρμῆς)، رسول آلهة الأوليمبوس، الذي كان يقوم بعملية تأويل أو تفسير كلام الآلهة من أجل توصيله إلى بني البشر (كما ورد في محاورة كراتيليوس لأفلاطون)؛ ومن ثم فإن التأويل مرادف للهرمنيوطيقا (د.مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٦٦٤–٦٦٥، مادة: هرمنيوطيقا).

أولاً: الهرمنيوطيقا الثيولوجية للزمان الميثولوجي:

بفحصِ فكرةِ الزمن ونوعيتهِ، عند الثلاثي اللاهوتي القديم: هوميروس، وهسيودوس، وأورفيوس، تطالعنا ثلاثُ صورٍ ميثولوجية، وبأخْذِ المشتركِ بينها يُمكننا أنْ نستخلصَ منها **صورةً لطبيعةِ الزمن الميثولوجي:**

١- هوميروس: خلودُ الآلهةِ

أسطورةُ انتصارِ "زيوس" على "خرونوس":يأتي الزمن، أو**خرونوس (Χρόνος)**، في إلياذةِ هوميروس، باعتباره أبًا لكبيرِ الآلهةِ زيوس[1]؛ **إشارةً إلى خلود الإلهي وانتصاره على أبيه الزمن.** حيثُ نجدُ- في بدايةِ الكونِ إلوناني- **خرونوس:** الإلهَ، الذي يخضع لإلهٍ أعلى منه هو **القدر(ἡ εἱμαρμένη)**.وكذلك الآلهة البدائية الأولى، أعني الآلهة قبل الأوليمبية **(الكيكلوبيس، تارتاروس، التيتانيس، جايا.. إلخ)**، كلها كانتْ خاضعةً كذلك **للقدر**. لقد دخلتْ هذه الآلهةُ في **صراعٍ إلهي حولَ عرشِ الكونِ**، فدارتْ حربان- كما يمكن أن نسميهما- كونيتان؛ الأولى: بين **أورانوس**؛ أي **السماء**، وبين ابنه **خرونوس**، وانتهت بانتصار خرونوس على أورانوس. لكنَّ نبوءةً ذكرتْ أنَّ واحداً من أبنائه سوف يقضي عليه، فأخذ "**خرونوس**" يبتلع أطفالَه واحدًا بعد آخر: ابتلع "**هيستيا**"، و"**ديمتر**"، و"**هيرا**"، و"**بوسيدون**" و.. هكذا حتى لا يتركَ لولدٍ من صلبه أنْ يكبرَ وينتزعَ منه عرشَ الألوهيةِ، لعلَّه يتفادى القَدَرَ المكتوب. والثانية: بين **خرونوس؛ الزمن**الأب **المنتصر على السماء** وبين حفيد **أورانوس** أي **زيوس:** الإله الذي قُدر له أنْ يكونَ سيدَ الآلهة والمتربعَ على عرش الكون، والمهيمنَ على مملكة **أوليمبوس** المقدسة، وعلى جميع العوالم: عالم الآلهة وعالم البشر. **وبانتصارِ الإلهي على الزمني، وسيادتِه على عرشِ الكون، يكونُ الخلودُ قد كُتبَ للآلهةِ وحدهم، بعد صراعٍ قدري**

---

(١) هوميروس: الإلياذة،تحرير ومراجعةأحمد عتمان، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٤م،(ك ١) ٥٣٩. (ك٢) ١٠٢، ٦٧٠.(ك٣) ٣٠٢، (ك٤) ٢٥، ١٦٦، ٢٤٩، (ك٥) ٧٢١، ٧٥٣، ٧٥٦، ٨٦٩، ٩٠٦، (ك٦)١٣٩، ٢٣٤، ٢٦٧، (ك٧) ٦٩، ١٩٤، ٢٠٠، ٣١٥، ٤٨١، (ك٨) ٣١، ١٤١، ٢١٠، ٣٨٣ (هيرا ابنة كرونوس العظيم)، ٤٧٩، (ك٩) ١٨، ١٧٢، ٢٤٦، ٥١١، (ك١١) ٢٨٩، (ك١٣) ٢٢٦، ٢٤٢، ٣١٩، ٣٤٥، ٧٨٣، (ك١٤) ٢٠٤ (حيث دفع زيوس- بعيد النظر- خرونوس ليقطن تحت الأرض والبحر الهائج))، ٢٤٣ (هيرا يا ابنة الملك خرونوس العظيم)، ٢٤٧، ٢٧٤ (الآلهة التي تسكن الكون مع خرونوس)، ٣٣٠، ٣٤٦، (ك١٥) ٩١، ١٥٢، ١٨٧، ٢٢٥ (آلهة العالم السفلي مع خرونوس)، ٢٥٤، (ك١٦) ٤٣١، ٤٤٠، ٦٦٢، ٨٤٥، (ك١٧) ٢٠٩، ٢٦٩، ٤٤١، ٥٩٣، (ك١٨) ١١٨، ١٨٥، ٢٩٣، ٣٦١، ٤٣١، (ك١٩) ١٢٠، ٣٤٠، (ك٢٠) ٣١، ٣٠١، ٣٠٤، (ك٢١) ١٨٤، ١٩٣، ٢١٦، ٢٣٠، ٥٠٨، ٥٧٠، (ك٢٤) ٩٨، ١٤٣، ٢٤١، ٢٩٠، ٦١١.

مع الزمن. ويرتبط بفكرة **الزمن والخلود** فكرةُ **القدرِ** الذي لا يفلت منه حتى الآلهة أنفسهم. وسيأتي السوفسطائيون ليقرروا أنَّ **ليست ثمة صورة للزمان الإلهي**، ولا قدراً مستبداً، وأنَّ الإنسانَ هو الذي صنع الآلهةَ وابتدعهم، كما سوف نعرضُ بعدُ.

٢- هسيودوس: تدهور التاريخ البشري

أسطورةُ العصورِ الخمسة: الصورةُ الثانيةُ- من صورِ الزمن الميثولوجي- نجدها عند هسيودوس في قصيدته "**الأعمال والأيام**"، **(ἐργακαιἡμέραι)**[١] التي روى فيها أسطورةَ "**العصور الخمسة**"[٢].صورة تفسر التاريخَ البشري تفسيراً تراجعيًا؛ حيث ينتقل البشرُ من **عصر ذهبي إلهي سعيد**؛ كان البشرُ فيه يصاحبونَ الآلهةَ، ويسيرونَ معها جنبًا إلى جنب، إلى عصورٍ أخرى أقل سعادةً وأكثر ابتعاداً عن الآلهة، حتى نصلَ العصرَ الحديدي: عصر التدهور التام الذي سيطرتْ فيه على الإنسان الشرورُ كلُها والآثامُ كلُها، وابتعد فيه البشرُ بالكليةِ عن الآلهة. ذلك العصر الذي يتحدث عنه **هيسيودوس**قائلاً: "ليتني لمْ أكنْ من رجال الجيل الخامس، بل ليتني مِتُ قبله أو وُلدتُ بعده؛ فالسلالةُ التي توجدُ الآن هي حقاً سلالةٌ حديديةٌ، ولا راحةَ لأحدٍ فيها من الأسى، والإرهاقِ نهاراً؛ والهلاكِ ليلاً"[٣].

هكذا رُويت قصةُ تدهورِ أحوالِ الإنسانِ وسقوطه[٤]. وهكذا أعطانا هسيودوس نظريةً في الزمن والتاريخ تقول بالتدهور التدريجي: **صورة الزمن التدهوري**. أما **السوفسطائيون** فسوف يقدمونَ تأويلاً مغايراً لسير التاريخ، فعلى العكس من هسيودوس سيقررون أنَّ الزمن يسيرُ قُدُمَاً إلى الأمامِ، لا ارتكاسًا وتدهوراً؛ كما سوف نرى.

٣- أورفيوس: صوفية الزمن

أسطورة الخطيئة الأولى والسقوط البشري في التاريخ: تطالعنا بعد ذلك الصورةَ الثالثةَ للزمان الميثولوجي عند أورفيوس، الذي قدم تصوراً صوفياً للزمان: **في البَدْءِ كانَ**

---

(1) Hesiod,Works and Days, in Hesiod, Theogony, Works and Days, Testimonia, Ed. & Trans. Glenn W. Most, Harfard University Press, Cambridge, Massachusetts, London, England, 2006.

(2) Hesiod, Works and Days, 106-201, PP. 95-105.

وانظر أيضًا: محمد سليم سالم: قصيدة الأعمال والأيام لهيسيودوس، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٧.

(3) Hesiod,Works and Days, 174 , P.103.

(٤) م. آي. فينلي: عالم أوديسيوس: ترجمة وتقديم محمد عبودي إبراهيم & السيد جاد،المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٣٣.

الزمن، وفي البَدْءِكانتِ الخطيئةُ. كانت **الأورفية (Ορφισμός)** تتصور أنَ الزمن هو أولُ الموجوداتِ ثم جاءَ الخاؤس **(τό χάος)** أو العماء، ثم ظهر الكونِمن **البيضة الكونية** (The Cosmic Egg)[١] **البيضة أو الجرثومة(γόνομον)**؛"**رمز أو مثال الخلق**"، على حد تعبير **جُثري**[٢].على ذلك كانَ المبدأ الأولَ في نشأة الكون هو **الزمن**، ومنه تولَّدَ**الخاؤس**، ثم بيضةٌ خرج منها **النورُ**:**فانيس (φανες)**أو **الأولُ المضيء**،خالقُ عالمنا[٣]. **وفانيس** أيضاً هو **زيوس** أو **زيوس** هو الذي صار **فانيس**[٤]. وفي روايةٍ أخرى، انقسمتِ**البيضةُ** إلى نصفين: أحدهما **السماء** والآخر **الأرض**[٥].إنَّ المبدأ الأورفي يقولُ: إنَّ**الوجودَ ينطوي على خَطيئةٍ**؛ فعلى أساس الأساطير الخاصةِ بالكون والآلهة اعتقد **الأورفيون**أنَّ**النفسَ** جوهرٌ مختلفٌ كلَ الاختلاف عن البدن، وأنَّ البدنَ سجنٌ لها وقبر. وفسروا سقوطَها في البدن على أنه:"**كفارةٌ عن خطيئةٍ أوليةٍ**". وعلي النفس– لكي تتخلص من الخطايا– أن تمارسَ**شعائرَ الهدايةِ (τελφται)**[٦]. وللخلاص من الشرِ ومنْ هذا السقوط الزمني،تحتاجُ النفسُ إلى مُرشدٍ رُوحي هو أورفيوس وتعإليمه؛لكي تعودَ النفسُ مرةً أخرى إلى البداية التي جاءتْ منها: من عند الآلهة[٧].

هكذا تعطينا الأورفيةُ**صورةَالزمن الصوفي**، والسقوطِ البشري في التاريخ. وفكرةُ **الخطيئةِ، والتطهرِ الصوفي،للعودة إلى الآلهة في نهاية دوراتٍ تناسخيةٍ طويلة. وهي** فكرةٌ سوف يتخلص منها السوفسطائيون تمامًا. سوف لا يلقون بالاً إلى الآلهة، بل سوف لا يتجهون إلا إلى الإنسانِ وحده؛ الإنسان بغير قوةٍ فوقيةٍ، تملكُ الزمن وتُخضِعُ الإنسانَ لمقتضياته.

---

(1) John Morrison, Orphism, in the Encyclopedia of Philosophy,Vol. 6, Editor Chief Paul Edwards, Macmillan Publishing Co., New York & London,1967, P. 1.

(2) W. K. C. Guthri,Orpheus and Greek Religion, A Study of the Orphic Movement, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1993, P. 92.

(3)Guthrie,Orpheus and Greek Religion, Ibid .P. 96.

(4) Guthrie,Orpheus and Greek Religion, Ibid .P. 101.

(5) K. Freeman, The Pre – Socratic Philosophers, Basil Black Well, Oxford, 2nd Ed, 1959. P.9.

(٦) محمد فتحي عبد الله: النحلة الأورفية، أصولها وآثارها في العالم إلوناني، الدار الأندلسية، الإسكندرية، ١٩٩٠، ١٩٩٠، ص ١٧.

(٧) محمد فتحي عبد الله: النحلة الأورفية، ص ٢١.

- **نتيجة: صورة الزمن الميثولوجي: خلود الإلهي وسقوط البشري**

هكذا قدمتِ الميثولوجيا القديمةُ ثلاثَ صورٍ كلها ذات طبيعة ميثولوجية تجسيدية. وبتأملها يمكنُ أنْ نستخلصَ منها صورةً عامةً للزمان الميثولوجي: **صورة تتضمنُ الخلودَ الإلهي، والسعادةَ الإلهيةَ، في مقابل السقوطِ البشري، والشقاءِ الإنساني. وهي صورةٌ لمْ ترتقِ إلى أي درجةٍ من درجات التجريد العقلي في تصورها للزمان.** هذا التجريدُ لصورةِ الزمن سوف يتحققُ على أيدي الفلاسفة السابقين على السوفسطائيين؛ كما سنعرضُ حالاً:

ثانيًا: الهيرمنيوطيقا الفلسفية للزمان قبل السوفسطائيين

لمْ يبحثِ الفلاسفةُ في وسيلةِ قياسِ الزمنِ بشكلٍ رئيسٍ، كما يبحثها العلماءُ إلىوم، وإنما تركزَّ جوهرُ بحثِهم علي محاولةِ الإجابةِ عن أسئلةٍ تتعلقُ بطبيعةِالزمن وماهيته وجوهره. وهي أسئلةٌ بدأوها، وربما لا تنتهي أبداً. وفيما يأتي نحاولُ فحصَ صورِالزمن التي قدَّمها الفلاسفةُ السابقون على السفسطائيين، ثم نحاولُ أنْ نستنبطَ منها **صورةَالزمن الفلسفي** عندهم:

١- أناكسيماندروس: أبيرون الزمن

لنبدأ بفحصِ صورةِ الزمن عند **أناكسيماندروس (Ἀναξίμανδρος)**، ثاني فلاسفة مدينة **ميليتوس (ὁ Μιλήτος)**، الفيلسوف الذي قدَم لنا مفهومَ**الأبيرون(τόἄπειρον)؛** أو **اللانهائي.** هذه الصورة يمكن أنْ نطلِقَ عليها: **أبيرون الزمن.** يقول**فيرنرييجر**[١]- بعد أن وصف أرسطو **أبيرون** أناكسيماندروس بأنه **غير مخلوق، أزلي (ἀϑανατον)، وغيرُ قابلٍ للفساد (ἀνωλεϑρον)**، أبدي قال: وهذا هو "**الموجود الإلهي الأبدي (το ϑειον ἀϑανατον γαρ και ἀνωλεϑρον)**[٢].وليس الخلودُ بهذا المعنى عند هوميروس

---

(1)W. Jeager, The Theology of The Early Greek Philosophers,At Clarendon Press, Oxford, London, 1948, P.31.

(٢) أرسطو: علم الطبيعة، ك٣، ب٤،ترجمه من الإغريقية إلى الفرنسية، وصدره بمقدمة في تطور علم الطبيعة وبتفسير، علَّق علي النص تعليقات متتابعة بارتلمي سانتهلير، ونقله إلى العربية أحمد لطفي السيد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص١٦٣. وأنظر أيضًا:

Aristotle, Physics, B, 3, Ch 4, 203b,The works of Aristotle, Trans by R.P.Hardie and R.K.Gaye, in Great Books of The Western World, Ed by R. MHutchins, Vol 8, William Benton Publisher, Encyclopaedia Britannica, Chicago, London, vol.1, 1952.p.281.

وهسيودوس بغريبٍ على أناكسيماندروس؛ إنَّ هذا الخلودَ هو أهمُ صفةٍ تتصفُ بها الآلهةُ؛ وهى أنها **تعيشُ إلى الأبد (αιέν ἐοντες)**[1].كذلك ارتبط مفهوم الأبيرون عند أناكسيماندروس بمفهوم **الخطيئة الكسموجونية**، أي؛ **انفصالُ (ἀπόκρισις) العالمِ عن الأبيرون. والزمن** هو الذي سيكفّرُ عن هذه الخطيئةِ بأنْ تتعاقبَ دوراتٌ زمانيةٌ كونيةُ حتى يعودَ ما انفصلَ إلى منبعه الأصلي؛ الأبيرون؛ وذلك طبقًا **لقانون الزمن: طبقًا للضرورة (κατά τό χρεων). إنَّ الأشياءَ الفرديةَ تدينُ بوجودها في العالم للظلم: غياب ديكي (ἀδικία)**[2]؛ فالأشياء يعتدي بعضُها على بعضٍ فيتحقق لها الوجودُ[3]. وسوف يُعيدُ الزمنُ جميعَ الأشياءِ مرةً أخرى إلى **الوَحْدَةِ**[4]. وبهذا يعودُ التوازنُ الكونيُ الذي كانَ سائداً منذ الأزل، ليتحققَ في الأبد.ونظريةُ أناكسيماندروس هذه تُعد– كما يرى **بيجر**[5]– أولِ **ثيوديسيا فلسفية (Philosophical Theodicy)**، عن الزمن لها عَلاقَةٌ بالتصوف الأورفي الأسطوري. إنَّ أناكسيماندروس يرى أنَّه من الأبيرون جاءَ عالمُنا، مثلما جاءت عوالمُ أخرى، لا حصر لها **(ἄπειροικόσμοι)**، أو **سماواتٌ لامتناهية (ἄπειροιὀυρανοι)**، وكلُها إلىه سيعودُ بفعل الزمن والضرورة.وهذا العرض لعلم الطبيعة كنوع من قصيدة ملحمية– كما يقول **شارلزكاهن**[6]– هو من سماتِ الفكرِ إلوناني المبكر .**ولكنَّ أناكسيماندروس يقدم فكرةً تجريديةً فلسفيةً، وبطريقةٍ غير سرديةٍ عن طبيعةِ وماهيةِ الزمن.** فلا نخطئُ ملاحظةً مهمةً مفادُها هو: **غيابُ النظريةِ الميثولوجية لنشأةِ الإنسانِ وبَدْءِ مأساتِه**؛ أي: غيابُ فكرةِ إغضابِ بروميثيوس لزيوس، وخلق باندورا.. وما تلا ذلك على نحو ما سَرَدَ هسيودوس في "الثيوجينيا"، و"الأعمال والأيام". إنَّ الرؤيةَ الميثولوجيةَ لبدْءِ النشأةِ الإنسانيةِ، لا تحضرُ في أي شذرةٍ من شذرات أناكسيماندروس الباقية[7].

---

(1) Adam Drozdek, In the Beginning was the Apeiron,Infinity in Greek Philosophy, Franz Steiner Stuttgrta, 2008. P. 17.

(2) Julian Marias, History of Philosophy, translated from Spanish By stanley Appelbaum and Clarence C.Strowbridge, Dover Publications, Inc, New York, 1967.P. 14.

(3) F. M. Cornford, From Religion To Philosophy, Princenton University press, Princenton, 1991.P. 147.

(4)Julian Marias, History of Philosophy, P. 14.

(5) W. Jeager, The Theology of The Early Greek Philosophers. PP. 35-36.

(6) Charles H. Kahn, Anaximander And The Origins Of Greek Cosmology, Columbia University Press, New York, 1960. P. 199.

(٧) الطيب بو عزة: تاريخ الفكر الفلسفي الغربي: قراءة نقدية (٢) الفلسفة إلىونانية ما قبل السقراطية،(١) الفلسفة الملطية أو لحظة التأسيس، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت،٢٠١٣م، ص ص ٥١١-٥١٢.

٢- فيثاغورس: الزمن الصوفي الرياضي

لقد لخص فرفوريوس[١]- في سيرة فيثاغورس **(Πυθαγόρας)**- عقيدته في النفس**(ψύχη)**، بقوله: "أولاً: إنَّ فيثاغورس كانَ يقولُ**بخلود النفس**، ثانيًا: إنَّها تتحولُ إلى أشكالٍ حيةٍ مختلفةٍ، وإنَّ الأحداثَ تتعاقبُ على سبيلِ**الدَوْرِ**، فما من جديدٍ تحت الشمس. وأخيرًا: إنَّ جميعَ الكائناتِ الحيةِ يجبُ أنْ تُعدَ أقرباءَ، ويضيف فرفريوس: أنَّ فيثاغورس هو أولُ منْ أدْخَلَ هذه المعتقداتِ إلى بلاد إلونان. فالنفس هي بدايةُ القصةِ ونهايتِها في الفلسفة الفيثاغورية؛ منها تنطلقُ في بناءِ نظريةٍ متكاملةٍ عن الوجود السابق للنفس على البدن، واقترافها ذنبًا في عالمٍ عُلوي مقدس، فينتجُ عنها هبوطُها إلى سجن البدن، **(σώμα)**، والجسدهو مقبرة**(σήμα)** النفس التي تخضع **للتناسخ(μετεμψυχοσις)** أي؛ الولادات المتكررة بُغيةَ التطهيرِ، وعودتها إلى العالم الإلهي[٢]، (سيسمى أفلاطون هذه الدورة باسم "**السنة التامة أو الأخيرة**"**(τέλος ένιαντος)**[٣]، وسيسمى الزمن باسم "**الصورة السرمدية**" **السرمدية**" **(ἄιωνιον εἰκόνα)**[٤]. وإلىها- النفسُ- تنتهي القصةُ: بالتطهيرعن طريق نوعٍ نوعٍ من التصوف؛ هو ما نطلقُ عليه اسمَ "**التصوف الرياضي**"، ومن ثم استحقاقها لعودتها إلى مصدرها الأصلي واتحادها، وعودتها إلى الإله الذي وهبها هذه القُدْسِيةَ كيْ تستحقَ الخلودَ، لا الفناءَ بعد الموت. لقد تمَّ تصويرُ الخلودِ عند فيثاغورس- ونتفق في ذلك مع **شارلز كاهن**[٥]- بمعنيين: الأول؛ من حيث التناسخ (مع ارتباط التناسخ بفكرة القرابةِ بين جميع الكائناتِ الحية)، والثاني؛ من حيث إمكانية التطهير، والهروب من عجلة الولادات المتكررة ومن قيود الجسد وعبوديته.هذه هي إذًا **فصولُ الزمن الرياضي الصوفي الفيثاغوري:** تبدأ بالنفس لتنتهيَ إلىها؛ عودًا على بدءٍ؛ ونهايةً مستكملةً لبدايةٍ.

---

(1) Porphyrius, Vita Pythagorae,19, in G.S.Kirk & J.E.Raven, The Presocratic Philosophers, Cambridge At The University Press, 1957, p223.

(وترجمة النص للدكتور ماجد فخري:تاريخ الفلسفة إلىونانية من طإلس إلى أفلوطين وبرَقلِس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١م، ص ٢٤)

(2) A.H.Armstrong, An Introduction To Ancient Philosophy, Methuen & CO , LTD , London , 1981, p 7.

(٣) عبد الرحمن بدوي: الزمن الوجودي، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة،١٩٧٣، ص ٥١.

(٤) عبد الرحمن بدوي: الزمن الوجودي، ص ٥٥.

(5) Charles. H. Kahn,Pythagoras and The Pythagoreans,Hackett Publishing Company, Cambridge,New York 2001. p 4.

٣- اكسينوفانيس: ثيولوجيا الزمن

من الصفاتِ المهمةِالتي يصف بها **اكسينوفانيس (Ξενοφάνης)** الإلهَ صفةُ**الأبدية** وفي ذلك يقول:"**إنَّ جوهرَ (ουσια)الإلهِ كُروي (σφαιροείδες)، وأنَّه لا يشبه الإنسانَ. وهو بَصَرٌ كلُّه، وسَمْعٌ كلُّه، ولكنَّه لا يتنفس؛ فهو كُلى العقلِ والفكروأبدى**"(١). وقول اكسينوفانيس بأنَّ الإلهَ**أبدي** يعني أنه لمْ يولدْ من إلهٍ قبله، كما هو الحال بالنسبة لزيوس مثلاً في الأساطير الهومرية الهسيودية. حيث يذكر **أرسطو** أنَّ اكسينوفانيس اعتادَ على أنْ يجادلَ في مقولةِ إنَّ الآلهةَ تُولدُ، باعتبارها مقولةً آثمةً؛ كالقول بموت الآلهة؛ لأنه يترتبُ على القول بمولد الآلهة أو وفاتهم، أنه في وقتٍ من الأوقات لا توجد آلهة(٢).وعلى ذلك فالإله لم يولدْ ولم يلدْ، وهو أزلي أبدي.وصف اكسينوفانيس في (شذرة ٢٧)،الطبيعةَ بأنها تجيء من الطين ثم تفنى، أي أنها تولدُ وتموتُ: "**كل شيء يأتي من الأرض وإليها يعود**". وكل ما يولد ويموت ليس قديمًا وليس إلهًا. وعلى ذلك فالطبيعة، أو الكون، أو العالم ليس هو الإله؛ لأنَّ الإلهَ أبديٌ،أما الطبيعةُ فتولد وتفنى. ولا أقول حادثةً؛ لأنَّ فكرةَ الحدوثِ والقدم ربما لم تكن لتخطرَ لاكسينوفانيس على بال.فإله اكسينوفانيس إذاً: **أبدي وكامل**. لم يولدْ ولنْ يموتَ. هذه هي صورةُ **الزمن الثيولوجي: زمان الإله الأزلي الأبدي**، لازمانَ العالمِ الذي يُولد ويَفنى.

٤- هيراكليتوس: لوجوس الزمن

إذا طالعنا الاسمَ التإلى من الفلاسفةِ السابقينَ على السوفسطائيين، الذي قدَّمَ صورةً عن الزمن، فإننا نجد **هيراكليتوس (Ηράκλετος)**: فيلسوف **اللوجوس (λόγος)**، الذي قدَّمَ صورةً للزمان يمكن أنْ أسميها "**لوجوس الزمن**". إنَّ أولَ من ذكر صراحةً فكرةَ "**قدم العالم**"، هو هيراكليتوس: "**إن هذا العالم لمْ يخلقْه إلهٌ ولا بشر**"؛ فهو نارٌ أبديةٌ خالدة، تتوهج بحساب وتخبو بحساب. إنَّ قِدمَ العالمِ مشكلةٌ شغلتِ الفلاسفةَ كثيراً، وقد أكد أفلاطون(حسب

---

(1)Diogenes Laretius, Lives of Eminent Philosophers,IX, 19, Trans by: R. D. Hicks, M.A. Cambridge, Massachusetts, Harvard university Press, London,Vol. 11,1972. p.427.

(٢) محمد عبد الغني السيد: التوحيد في الفكر إلوناني القديم، الجمعية المصرية للدراسات إلونانية والرومانية، الكتاب السنوي الرابع، القاهرة، ٩٩ – ٢٠٠٠م، ص ١٥٤. وانظر أيضًا:

Aristotle, Rhetoric, The Works of Aristotle,1399 b, 5-10, Aristotle: Rhetoric, The works of Aristotle, vol.1,Trans by R.P.Hardie and R.K.Gaye, in: Great Books of The Western World, Ed by: R. MHutchins, Vol 8, William Benton Publisher, Encyclopaedia Britannica, Chicago, London,Vol. 2, 1952.p.648.

الرأي الشائع!) أنَّ للزمانِ بدايةً، على حين أنكرَ أرسطو هذا، لتظل الإجابتانِ تتنازعانِ وتتجادلان[١]. كذلك بحث هيراكليتوس فكرةَ "**الصيرورة**" و"**التغير المستمر**"(**τά πάντα ῥει**)، و"**صراع الأضداد (τά ἐναντία) ووَحْدَتها**"، من خلال **منظورٍ زماني** حيث يقول: "**نحن نعيشُ موتنا ونموتُ حياتنا**". وإذا كانَ كلُ شيءٍ في تغيرٍ مستمر، إلا أنَّ "**الاحتراقَ الكلي**" (**ἐκπύρωσις**)، حتميُ الوقوع، و"**العود الأبدي**"**المتكرر**: هو **لوجوس الزمن** عند هيراكليتوس.

٥- الإيليون: أنطولوجيا الزمن

قدمتِ المدرسةُ الإيليةُ (Ελεατική σχολή)صورةً فريدةً عن الزمن؛حيث نجدُ عند **بارمينيديس (Παρμενιδης)**هيرمينوطيقا أخرى من صور الزمن الفلسفي، صورة يمكن أنْ نصفَها بـ "**أنطولوجيا الزمن**". أو "**أنطولوجيا التوأيون**"، **(τὸ ἐον)**: الوجود اللانهائي الأزلي الأبدي، الخالد. لقد أكد بارمنيدس على أنَّ**الوجودَ**، غيرُ مولودٍ، غيرُ مخلوقٍ **(ἀγένητον)**. والسبب في أنَّ الوجودَ**لا يكون (ἀγένητον) ولا يفسد (ἀνώλεθρόν)** هو أنه **كلٌ ووحيدُ التركيبِ(ἔστιγὰροὐλομελές)**. ويقول النص البارمينيدي:

(τίναγὰργέννανδιζήσεαιαὐτοῦ;πῇπόθεναὐξηθέν;) بمعنى؛ "**فأي أصل لهذا الوجود تريد أنْ تبحثِ عنه؟و كيف و منْ أي أصلٍ نشأ؟**" إنَّ كلاً من الصيرورة والنمو يتضمنان اللاوجود[٢].

ولقد تابع **ميليسّوس (Μέλισσος)**، تلميذ بارمينيديس، فكرةَ أستاذهِ عن اللانهائية الزمنية، التي يصف بها **الأيون**: أولُ صفةٍ للوجود عند ميليسّوس أنَّه **أزلي أبدي**؛ لأنَّ "ما كانَ موجودًا فهو موجودٌ منذ الأزل، وسيوجدُ إلى الأبد؛ لأنَّه إذا ظهرَ إلى الوجودِ، فيجبُ أنْ يكونَ لا شيءَ قبل وجوده، فإذا كانَ لا شيءَ، فلنْ ينشأَ شيءٌ من لا شيء"[٣]. **وفي شذرة رقم** (٦) يقول ميليسّوس: "**لأنه إذا كان لا نهائياً، فيجب أن يكون واحدًا، إذ لو كان الوجود**

---

(١) يمنى طريف الخولي، الزمن في الفلسفة والعلم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٤٧.

(٢) هانز جورج جادامير: بداية الفلسفة، ترجمة على حاكم صالح و حسن ناظم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٢م، ص،١٧٨.

(٣) ميليسوس: شذرة رقم ١، الترجمة العربية لأحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة إلىونانية،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٠٩م، ص ١٥٥.(B1.Simplicius, Commentary on Aristotle's Physics, 162,23,26).

اثنين، ما كان لا نهائيًا، لأن أحدهما يحيط بالآخر (يحدُالآخرَ)"[١].ولكن ميليسّوس أضاف إلى فكرة أستاذه عن اللانهائية فكرةَ**اللانهائيةِ المكانية**للأيون. إنَّ صفةَ اللانهاية هي الصفة الجديدة التي أدخلها ميليسّوس إلى الوجود خلافًا لأستاذه بارمينيديس. إنَّ جوهرَ التطويرِ النظري الذي أنجزه ميليسّوس **يَكمُن في إعادةِ بنائِه لمفهوم الوجود باستدخال دلالة الامتداد اللانهائي؛ أي أنه أضافَ إلى فكرةِ لا نهائيةَ الوجودِ في الزمن، التي كانت البرمنيدية قد قالتْ بها، لا نهائيته في المكان ليسحبَ من الفلسفةِ الذريةِ مستندها، أي مقولة الفراغ، الذي هو الشرط الأنطولوجي للحركة**[٢].

ولتكتمل الصورةُ الفلسفيةُ التجريديةُ الوجوديةُ لأنطولوجيا الزمن عند الإيليين، أقامَ **زينون الإيلي(Ζήνων ο Ελεάτης)**الحججَ على **عدم وجود الزمن المتغير**. لقد أنكر زينون الزمن من حيث أنكر الحركةَ أصلاً[٣]. وإذا كانَ الزمن مكونًا من آناتٍ (τά νυν) متوالية، وأنه عدد الحركة، كما ذكر ذلك الفيلسوف الفيثاغوري أرخيتياس من قبل، وكما سيذكر أرسطو من بعد، فالوجودُ الحقيقي فيه وجودٌ حاضرٌ باستمرار، ما دام موجوداً في الآن. وهذا ما تنبه إليه زينون الإيلي في حجة السهم، وفي حجة الملعب على وجه التخصيص[٤]. فإذا كنا نريدُ أنْ نتخلصَ من نتائج هذه الحجج، فليس أمامنا إلا أنْ نرفضَ أولاً هذا الافتراض الأصلي، وهو أنَّ الزمن مكونٌ من آناتٍ متوالية[٥]. أما إذا أبقينا عليه، فليس أمامنا إلا أحد أمرين: فإما أنْ ننكرَ الحركةَ، وهذا ما أثبته زينون بحججه وأراده الإيليون، واضطر أفلاطون إلى الأخذِ بشيءٍ منه؛ وإما أنْ نفسرَ الحركةَ تفسيرًا آخرَ، ليس من شأنه أنْ يفترضَ بالضرورةِ وجودَالزمن بالمعنى العادي. وهذا الوضع الثاني هو ما اختارته الأفلاطونية المحدثة، حيث فرقت بين **زمان طبيعي(φυσικόνχρόνον)**، وزمان **أصيل حقيقي أول (πρωτονχρόνον)**[٦].

---

(١) ميليسوس: شذرة رقم ٦، الترجمة العربية لأحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة إلىونانية، ص ١٥٦. (B6.Simplicius, Commentary on Aristotle'sde Caelo, 557,14-17.)

(٢) الطيب بوعزة: تاريخ الفكر الفلسفي الغربي: قراءة نقدية (٤)، كزينوفان والفلسفة الإيلية، قراءة في أطاريح كزينوفان، برمنيد، زينون، ميليسوس، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت،٢٠١٦، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٣) يمنى طريف الخولي، الزمن في الفلسفة والعلم، ص ٥٠-٥١.

(٤) عبد الرحمن بدوي: الزمن الوجودي، ص ٧٤.

(٥) أرسطو: الفيزياء، السماع الطبيعي،٩، ٢٣٩ب، ٢٩، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٨م، ص ٢٠٧.

(٦) عبد الرحمن بدوي: الزمن الوجودي، ص ٧٤.

هكذا حاول الإيليون التخلصَ من هَمّ الزمن، ومن قانون التغير الناشئ عنه أو العكس، أي الخلاص من التغير بالخلاص من مصدره، وهو الزمن. وهم في هذا كانوا متأثرينَ بنزعةٍ دينيةٍ صوفيةٍأسطورية، كما هي الحال لدى أفلاطون وأفلوطين وأوغسطين، أو بنزعة عقليةٍ تجريديةٍ تصوريةٍ، كما نجدها خصوصًا عند أرسطو وكانط وهيجل[١].

٦- أمبادوكليس: سافيروس الزمن

ننتقل إلى الفيلسوف الأكراجاسي أمبادوكليس(**Εμπεδοκλες**) الذي قررَّ أنَّه في البَدْءِ كانَ الزمن مع **فيليا(φιλία)ونيكوس (νείκος)**، حيث يقول أمبادوكليس: "**المحبة والشِقاق كما كانا موجودين من قبل، فإنهما سوف يوجدان، ولن يخلو- فيما أعتقد- منهما الزمن الأزلي**"[٢]. وكذلك العناصر الأربعة؛ التي هي **جذور الأشياء كلها(ῥιζώματα πάντων)**هي أبديةٌ[٣]. وعلى ذلك يَعد أمبادوكليس **الجذورَ الستةَإلهيةً أزليةً، غيرَ مخلوقةٍ:"ما أحمقهم!.. وما أقصر بصرهم ! إذ يظنونَ أنَّ ما لمْ يوجدْ مِنْ قَبْلُ يظهرُ إلى الوجود، وأنَّ الموجودَ يفنى تمامًا"**[٤]."**ولا يمكن بأي حال أنْ يظهرَ شيءُ إلى الوجودِ مما ليس بموجود، ولا أنْ يفسدَ ما هو موجودٌ؛ فهذا أمرٌ مستحيلٌ، ولا يمكنُ سماعُه، لأنَّه موجودٌ دائمًا على أي وجهٍ تتصوره**"[٥].

لقد قدّمَ أمبادوكليس صورةً فلسفيةً بديعة للزمان نصفها بـ "**سافيروس الزمن**"، حيث أقام توازياً (**Parallel**)بين **الدورات الكونية(Cosmic circles)**الزمنية وبين الدورات التي تطرأ على **النفس الإنسانية**[٦]. إن القوتين غير الماديتين، أعني **المحبةوالشِقاق،** هما اللتان اللتان تسببان تعاقب الدورات، أو الفترات العالمية، ويجب أنْ نعترف هنا- مع **جومبرتز**[٧]- أننا أمام **ثنائية (Dualism)** واضحة في مذهب أمبادوكليس. لكن هذه الثنائية لا تمنع وجودَ**التوازي** بين **دورةِ النفس ودورةِ الكون**؛حيث يبدأ مسارُ العالمِ، وعلى غرار الحركةِ الدوريةِ للنفس، بحالةِ الوَحْدَةِ في السافيروس(**Sphairos**)، أو **الكل الكُروي؛ الإلهي،** وفي

---

(١) عبد الحمن بدوي: الزمن الوجودي، ص ٤٦.

(٢) أمبادوكليس: في الطبيعة، شذرة (١٦)، الترجمة العربية للأهواني، ص ١٦٧.

(3) Julian Marias, History of Philosophy, p 30.

(٤) أمبادوكليس: في الطبيعة، شذرة (١١)، الترجمة العربية للأهواني، ص ١٦٦.

(٥) أمبادوكليس: في الطبيعة، شذرة (١٢)، الترجمة العربية للأهواني، المرجع السابق،ص ١٦٦.

(6) S.Kirk & J.E.Raven, The Presocratic Philosophers. P. 327.

(7)Theodor Gomperz, The Greek Thinkers,The Greek Thinkers, trans By Laurie Magnus, Magnus, John Murray,Albemarle Street,W, London, 1964. P. 245.

ذلك يقول **أمبادوكليس**: "**الكُرة، (سافيروس)، الخاضعة للمحبة، وهناك (في السافيروس) لا تتميز أطرافُ الشمسِ، ولا بأسُ الأرضِ الشديد، ولا البحرُ، بل تتماسك الكرةُ داخل ثوبِ الائتلاف (Harmonia)، كُرويةً، ومستديرةً، مبتهجةً بوَحْدَتِها (Monie) الدائريةِ**[١]."**ولكنها (أي الإلهة/السافيروس) متساويةُ الأبعادِ من جميع الجهات، وبغيرِ نهايةٍ، كُروية، ومستديرة، مبتهجة بعزلتها الدائرية**[٢].وهذه كلها صفات تذكرنا **بالواحد البارمنيدي الكُروي**[٣].ثم بعد ذلك تبدأ **الشِقاقُ**، من خارج الكل الكُروي (السافيروس)، في التسلل لتبدأ عمليةَ**الانفصالِ** الكاملِ، إلى أربعة أدوار، ثم يتم عكس هذه العملية، فيبدأ الحبُ في السيادة، ومرة أخرى تنصهر العناصر، **لتنتهي قصةُ التكوين هذه مندمجةً في الوَحْدَةِ الكاملةِ للكلِ الكُروي**[٤].وربما كانتْ دورةُ**الرُوحِ الإنساني (Soul's cycle)** هي التي أملت على أمبادوكليس فكرته عن **الدورة الكونية (Cosmic cycle)**[٥].وكل ذلك بهدف الوصول الوصول للأمل المنشود: يوم الخلاص للرُوح من رَبْقَةِ الجسدِ، هو إلىوم المنتظر وإن هذا إلىوم– على حد تعبير **كورنفورد**[٦]– سوف يأتي في نهايةِ وجودِ عالمنا، **يوم نعود فيه للوَحْدَةِ من جديد في الإله. إنَّ الحياةَ الحقيقيةَ، عند أمبادوكليس، هي الوجودُ الإلهي الفائق** على عالمِ المادة، **والوجود الدنيوي**، هو عقوبةٌ من الآلهة[٧].

---

(١) أمبادوكليس: *في الطبيعة*، شذرة (٢٧)، الترجمة العربية للأهواني، ص ١٧٠.

(Plutarch, On the Face in the Moon 926E; Simplicius,

Commentary on Aristotle's Physics 1183.24)

Curd Patrricia & Richard D. Mckirahan, A Presocratic Reader,Selected Fragments and Testimonia, Hackett Publishing Company, Inc. Indianapolis, Cambridge, Second Edition, 2011.p. 90.

(٢)أمبادوكليس: *في الطبيعة*، شذرة (٢٨)، الترجمة العربية للأهواني، ص ١٧٠.

(Stobaeus, Selections1.15.2)

Curd Patrricia & Richard D. Mckirahan, A Presocratic Reader .p. 90.

(3) J. Burnet, Early Greek Philosophy,Adam & Charles-Black, London,4 th Ed, 1975. p.227.

(4) F.M.Cornford, From Religion To Philosophy, p 230.

(5) .S.Kirk & J.E.Raven, The Presocratic Philosophers .p. 355.

(6)F.M.Cornford, From Religion To Philosophy.p. 239.

(7) E. Zeller, Outlines of The History of Greek Philosophy,Trans by LR. Plamer, Dover Publications Inc, New York,13th Ed, 1980.p.75.

٧- ديموكريتوس: الزمن الذري

ثم لنختمَ صورَ الزمن عند الفلاسفة السابقين على السوفسطائيين بصورةِالزمن في **الفلسفة الذرية (ατομική φιλοσοφία)**عند **ديموكريتوس (Δημόκριτος)** الفيلسوف الذي أعطانا **صورةً ذريةً للزمان الفيزيقي**، ولكنه **زمان أزلي أبدي**؛ فمنذ الأزلِ كانتِ الذراتُ والفراغُ وسيبقيان إلى الأبد:**العالم: ذراتٌ وفراغ (το παν ἐστι ἀτομοι και κένον)**:فمبادئ الكون الأولى هي **الذرات**(ἀτομοι)، وكذا **الفراغ (τόκένον)**، وقد أطلقَ على الأول اسمَ**الوجود**، وعلى الثاني اسمَ**اللاوجود** كما يقول أرسطو[١]. أما كلُ الأشياء الأخرى فيُظن أنها موجودة. و "العوالم **غير محدودة (απειροι)**تُولدُ ثم تفنى"[٢].إذاً "كلُ الموجودات تنشأ بفعل **الحتمية(ανανκή)**،**والدوامة (δινή)** هي السببُ في خلق جميع الموجودات"[٣]. هكذا **تَحْكُمُ الحتميةُ العالمَ عند ديموكريتوس**، ولا يوجد في الطبيعة سوى الذرات والفراغ.وفي هذا السياق أيضًا يقول الشارح **سمبليكيوس**: "يبدو أنَّ ديموكريتوس كانَ يعتقد أنَّ العالمَ ناتجٌ عن **الصدفة**"[٤].لقد اتهم أرسطو ديموكريتوس والذريين بإهمالهم بحث علَّة الحركة، لكنَّ سببَ هذا الإهمال لبحث **عِلّية الحركة** عند الذريين ليس سببه الكسل، كما رأى **أرسطو**، وإنما نتيجة لقول الذريين بأنَّ **حركةَ الذَّرَّاتِ حتمية أزليةٌ**؛ يقول **سمبليكيوس**: "إنَّ الزمنَ غير محدث، بل قديم عند ديموكريتوس[٥]. ومن ثم لا حاجةَللذريين للبحث عن علة فاعلة: عقل، مثل **نوس(νοῦς)أناكساجوراس**، أو **إلهٍ صانع، كديميورجوس (δημιουργός) أفلاطون**.

نتيجة: صورة الزمن الفلسفي: الزمن الميتافيزيقي الدائري

---

(١) أرسطو: الميتافيزيقا،١،٤، فقرة b٩٨٥، ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام، ترجمة كاملة لكتاب ميتافيزيقا أرسطو، ضمن كتابه: مدخل إلى الميتافيزيقا، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٢٧٥.

(٢) ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الكتاب السابع، فقرة (٤٤)، ترجمة وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل إلوناني، محمد حمدي إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ١٤٥.

(٣) ديوجينيس اللائرتي: المصدر نفسه، فقرة (٤٥)، ص ١٤٦.

(4) Simplicius, Commentary on Aristotle's physics, 28,15. (راجع الطيب بوعزة: أفول التفلسف الأيوني،ص ٣٢٩

(5) Simplicius, Commentary on Aristotle's physics, 28,15. (راجع الطيب بوعزة: أفول التفلسف الأيوني،ص ٣٢٦

لو تأملنا هذه **الصورَ الفلسفيةَ للزمانِ**، عند الفلاسفة السابقين على السوفسطائيين، لأمكننا أنْ نستنبطَ منها صورةً عامةً لماهيةِ الزمن الفلسفي، هي صورة "**الزمن الميتافيزيقي الدائري**"، **العود الأبدي**: فالزمن عند هؤلاء الفلاسفةِ كانَ**زمانًا ميتافيزيقيًا: أزليًا أبديًا دائريًا، يكرر نفسَه ويعود إلى نفسِه مرةً أخرى**. لقد سادَالزمن الدائري لدى الفلاسفة السابقين على السوفسطائيين؛ إذ كانتِ الرُوحُ إلىونانيةُ تنظرُ إلى الأشياءِ على أنَّها لا بدَ أنْ تكونَ متناهيةً، أي تامةً في ذاتِها ومغلقةً على نفسِها؛ ففي هذا يتحققُ الكمالُ، وتبعاً لهذا أتتْ بنظرتها للكون: فهي تريدُ أنْ تتصورَه "**مُقْفَلاً على نفسه**". ومن ثم كانَ الزمن لديهم، دائرةً مغلقةً على نفسها، خصوصًا أنهم أدركوه من حركةِ الكواكبِ التي بَدَتْ دائريةً[١].

كما رفضَ السفسطائيون صورةَ **الزمن الميثولوجي**، عند هوميروس وهسيودوس وأورفييوس، **زمان الألوهية المتعالية**، لمْ يقبلوا صورةَ**الزمن الميتافيزيقي الدائري المغلق**، عند الفلاسفة السابقين عليهم، بل قدَّموا صورةً مغايرةً ومختلفةً عن الزمن. فما طبيعةُ صورِالزمن عند السوفسطائيين؟ وما جوهرُ وماهيةُ صورةِالزمن التي يُمكنُ أنْ نستنبطَها منها ؟ هذا ما سنحاولُ أنْ نتعرفَ عليه في المحور الثالث والأخير من هذا البحث:

ثالثًا: التأويل الأنثروبو- مركزي للزمان عند السوفسطائيين

ظهرَ الفلاسفةُ السوفسطائيون(σοφισταί)، في اللحظة المناسبة، في القرن الخامس قبل الميلاد، في مناطق شتى من بلاد إلىونان، ولكن في أثينا وحدها يمكننا أنْ نلتقيَهم ونتلقى تعاإلىمَهم[٢]. فبحلول عصر بركليس(Pericles-٤٩٥-٤٢٩ق.م) كانَ عمرُ الفلاسفةِ السابقين، من الذين بحثوا في أسرارِ الكون، قد انتهى[٣].لقد بدأ السوفسطائيون عصرَ الإنسانِ كشارحينَ لمفهومٍ جديدٍ في إمكانيةِ المعرفة[٤]، حيث قاموا بحركةِ تغييرٍ شاملةٍ في الفكر إلىوناني؛ ساعدهم عليها مُنَاخُ الديمقراطيةِ والحريةِ السياسيةِ السائد آنئذٍ.وعلى ذلك لا

---

(١) عبد الرحمن بدوي: الزمن الوجودي، ص ٨٣.

(2) Jacqueline de Romilly, The Great Sophists in Periclean Athens, Oxford University Press, Lodon,2002. p. 2.

(3) Jacqueline de Romilly, The Great Sophists in Periclean Athens,Ibid,p. 11.

(٤) إيفا جيلوس موتسوبولوس:من الأسطورة إلى المنطق، ترجمة ودراسة وتعليق، هدى الخولي، مشروع جامعة القاهرة للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٣٥.

يجب تقديم السوفسطائي (**σοφιστης**)-كما فعل عدوُّ السفسطائيين اللدودُ أفلاطون[١]- في صورة "**الدجال الرُوحاني**"؛ لأنَّنا في مواقفَ عديدةٍ نجدُ أنفسَنا أمامَ شخصياتٍ واسعةِ الثقافة، وذاتِ اهتماماتٍ فلسفيةٍ جديرةٍ بالاهتمام[٢]. ويمكن أنْ نلّخِصَ **رؤيةَ هذه الحركةَ الفلسفيةَ إلى العالم**، في كلمةٍ واحدةٍ هي:تأسيس "**الأنثروبو- مركزية**"؛ أعني تلك **الرؤية الكونية** التي تقرر: **أنَّ الإنسانَ- لا الآلهة- مركزُ العالم**. ومن خلال ذلك المنظورِ الإنساني أوَّلَ السوفسطائيون الزمن تأويلاً مغايراً لهرمنيوطيقا الزمن؛ سواء هرمونيوطيقا الزمن الميثولوجي، في التراث الثيولوجي الميثولوجي القديم، أم هرمنيوطيقا الزمن الميتافيزيقي، عند الفلاسفة السابقين عليهم.

ولنبدأ فحصَ صورِ الزمن عند السوفسطائيين، ثم نحاول أنْ نستخلصَ منها الصورةَ الهرمنيوطيقيةَ للزمانِ عندهم. ولنستهّلَ بمؤسسِ الحركةِ السوفسطائية، بروتاجوراس:

١- بروتاجوراس: الزمن النسبي

لعلَّ بروتاجوراس(**Πρωταγόρας**)قد بدأَ تفكيرَه في **صورةِالزمن النسبي** التي قدّمَها بملاحظة عميقة لـ "**قِصَرِ عمرِالإنسان**" إزاء"**خلود الآلهة**" الميثولوجية، أي مقابل صورة الزمن الميثولوجي، وضد رؤي الفلاسفة السابقين عن الزمن الدائري: الزمن الميتافيزيقي، فقرر مبدأيْ **اللاأدرية** (Agnosticism) **والنسبية** (Relativism)، ثم أعطانا نظريةً تقدميةً، في تفسير التاريخ الإنساني، تعتمدُ على فاعليةِ الإنسانِ وحده، ودورها الخلاَّق في تطور الحضارة الإنسانية؛ الأمر الذي تطلب منه وضعَ نظريةٍ في التربية، وفي تعلمِ الفضيلةِ المدنية، لضمان استمرارِ فاعليةِ الإنسانِ في التاريخ:

- **قِصَرُ العمرِ: اللا أدرية والنسبية**

نظرَ بروتاجوراس إلى الإنسانِ الفردِ فراعَهُ قِصَرُ حياتِه، ومن ثم لمْ يستغرقْ في تأملِ صورةٍ أبديةٍ للزمانِ متمثلةٍ فى آلهةٍ خالدةٍ، أو زمانٍ دائري، بل رتبَ على طبيعةِالزمن الفرد- المتمثلةِ في قِصَرِالحياةِ- مبدأين أساسيين، أعني مبدأيْ: اللاأدرية والنسبية. وإذا

---

(١) لأفلاطون فضلُ تعريفِنا بالسفسطائيين حيث أفْرَدَ لهم محاوراتٍ كاملةً منها: بروتاجوراس، جورجياس، هيبياس الأكبر، هيبياس الأصغر، السفسطائي، إضافة إلى ذكر بعضهم في محاورات مهمة أخرى، مثل ثياتيتوس وغيرها، بل يمكن القول إنَّ معظمَ محاورات أفلاطون كانت رداً على السفسطائيين! وقد واصل أريستوفانيس،في مسرحيتيه السحب والطيور، ظلمَ السفسطائيين. أما أرسطو فقد ألَّف في حكمتهم المموهة وأقوالهم المخادعة كتابَه "عن الأغاليط السوفسطائية"؛ فتم تشويه سمعتهم في العالم القديم.

(٢) إيفا جيلوس موتسوبولوس:من الأسطورة إلى المنطق، ص ١٢٧.

تساءلنا الآن حول الأسبابِ العميقةِ للاأدرية بروتاجوراس، من وجهةِ نظرٍإبستمولوجية، أعني حول الأساسِ المعرفي الذي تتمحور حوله هذه اللاأدرية،فإننا نذكر أنَّ بروتاجوراس نفسَه قدَّمَ تعليلين هما اللذان دفعاه دفعًا إلى القول بلا أدريته وهما: **(ἢ τ' ἀδηλότης καὶ βραχὺς ὢν ὁ βίος τοῦ ἀνθρώπου)**، أي؛ **غموض الموضوع، وقصر عمر الإنسان.** لقد افتتح بروتاجوراس كتابَه **(περὶ θεῶν =عن الآلهة)** بالعبارة الآتية:

"περὶ μὲν θεῶν οὐκ ἔχω εἰδέναι οὔθ' ὡς εἰσίν, οὔθ' ὡς οὐκ εἰσίν· πολλὰ γὰρ τὰ κωλύοντα εἰδέναι, ἥ τ' ἀδηλότης καὶ βραχὺς ὢν ὁ βίος τοῦ ἀνθρώπου."[1]

بمعنى: "لا أستطيع أنْ أعلمَ إذا كانتِ الآلهةُ موجودةً أو غيرَ موجودةٍ، ولا هيئاتِها ما هي، لأنَّ أمورًا كثيرةً تَحُولُ بيني وبين هذه المعرفة: غموضُ الموضوعِ، وقِصَرُ العمرِ[2]. التعليل **الأول:** هو **غموض الموضوع؛(ἥ τ' ἀδηλότης)**وقد تعني الكلمة إلىونانية ما هو مضاد للمدرك الحسي، أو قد تعني كثرة الآراء وتعارضها، ومن ثم عدم وضوحها[3]؛ أي أنَّ موضوعَ الآلهةِ غامضٌ بطبيعته، بالنسبة إلى إدراكِ الإنسانِ الحسي؛**الثاني:** هو **قِصَرُعمرِ الإنسان ، (καὶ βραχὺς ὢν ὁ βίος τοῦ ἀνθρώπου)**وعلى ذلك صارَ**تعليقُ الحكم (Suspension of judgment)** حتمياً.

وإذا كان الحكمُ معلقًافي مسألة الآلهة، فسوف يصير كلُ شيءٍ نسبيًا وموكولاً إلى الإنسان وحده، وبحسب عبارة بروتاجوراس يصبح الإنسانُ**مقياسًا لكل شيء.**

لقد ذكرَ بروتاجوراس في كتابه **في الحقيقة (περι αλεθειας)** أنَّ:

« πάντων χρημάτων μέτρον ἄνθρωπος, τῶν μὲν ὄντων ὡς ἔστιν, τῶν δὲ οὐκ ὄντων ὡς οὐκ ἔστιν"[4].أي؛ أنَّ:**"الإنسان مقياس الأشياء جميعًا، فهو مقياسُ وجود ما يوجد منها، ومقياسُ لاوجودَ مالا يوجد منها"**[5].

---

(1) Diogenes Laretius, Lives of Eminent Philosophers, IX, 51, p. 464.

(٢) أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة إلىونانية قبل سقراط، ص ٢٦٤.

(٣) عزت قرني: الفلسفة إلىونانية حتى أفلاطون، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٣،ص٩٤.

(4) Diogenes Laretius, Lives of Eminent Philosophers, IX,51. p. 463.

(٥) أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة إلىونانية قبل سقراط، ص ٢٦٤.

- **تطورُ التاريخِ**

إذا كانَ قِصَرُ الحياةِ الإنسانيةِ قد أدى ببروتاجوراس إلى القول باللا أدرية والنسبية، فإنه مع ذلك، نَظَرَ إلى تاريخِ الإنسانِ باعتباره امتدادًا في الزمن، وتطورًا وتقدمًا مستمراً إلى الأمام، وهذا هو جوهرُ نظريتِه في **تقدم الجنس البشري**.لقد نسبَ بروتاجوراس في المحاورة المسماة باسمه[١] فضلَ نشأةِ الحياةِ المتمدنة المستقرة إلى أعمالِ وإسهاماتِ البشرِ خاصة، وقَصَرَ دورَ الآلهةِ على مجرد **بثِ البَذْرةِ الأولى للعدالةِ (δική) والكرامةِ (αἰδος)**[٢] في نفوسِ البشر.هكذا يُبْقِي بروتاجوراس على الآلهة نصفَ إبقاءٍ، فنادى بأنَّ **العدالةَ** و**الكرامةَ** هِبَاتٌ من الآلهة، وهما مَشَاعٌ في بني البشر جميعًا[٣]. وتلك كانتْ محاولتَه**لمعالَجةِ الدينِ كظاهرةٍ بشريةٍ وضعيةٍ** لها وظيفةٌ مُهمةٌ تؤديها للمجتمعاتِ كما يقول **كيرفيرد**[٤].كانَ الإنسانُ في رأيه هو الذي ارتقى بنفسه تدريجيًا من المرحلة الحيوانية المتوحشة إلى مرحلة التمدن، فاخترع كافةَ الوسائلِ الضروريةٍ من أجل حفظ وجوده: المسكن- الزراعة- اللغة- الدين- النظام السياسي والاجتماعي.وكانَ قيامُ الحضارةِ مرتكزًا على الجهد الإرادي المختار من قبل الإنسان نفسه؛ إذ شيَّدَ الإنسانُ، بإرادته الحرة، جوانبَ حضارته من أجل خيره هو الأعظم. هذه الفكرة تعطينا معنى جديداً تماماً لفكر السوفسطائيين مالم يعد ممكنًا تبريره بالإشارة إلى الآلهةِ وحدهم[٥].

وعلى ذلك ينظر بروتاجوراس هنا إلى الدين بشكلٍ أساسي باعتباره- على حد تعبير **ييجر**[٦]- **واقعةً أنثروبولوجيةً**ينبغي فهمها على ضَوْءِ معناها ووظيفتِها في الحضارةِ الإنسانيةِ والبناءِ الاجتماعي.لكنَّ مَنْ جاءَ بعد بروتاجوراس مِن السوفسطائيين: كريتياس، بروديكوس، أنطيفون، سوف يحذفون الآلهةَ تمامًا من المشهد الزمني والكوني الأنطولوجي؛

---

(١) أفلاطون: بروتاجوراس، ترجمة ودراسة، محمد كمال الدين على يوسف، راجعها، الدكتور محمد صقر خفاجة، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ٣٢٢ ب، ص ٥٨.

(٢) اللفظة إلونانية (αἰδος) تدل على معانٍ مختلفة، منها التبجيل والاحترام (Reverence)، ومنها الضمير (Conscience)، ومنها الاعتدال (Temperance)، فهي مزيج من الفضائل الخلقية التي آثر الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ترجمتها بلفظ الكرامة. انظر، فجر الفلسفة إلونانية قبل سقراط، حاشية ص ٢٧٠.

(3) W. Windelband, History of Ancient Philosophy, Trans by H. E Cushman, Dover publication Inc, London, 1956. p. 122.

(4) G.B. Kerferd, The Sophistic Movement,Cambridge University press, London, 1984. P168.

(5) Jacqueline de Romilly, The Great Sophists in Periclean Athens, p. 162.

(6) W. Jeager, The Theology of The Early Greek Philosophers. p. 176.

ليبقى الإنسانُ وحدُه.وعلى هذا النحو استطاع بروتاجوراس أنْ يقدّمَ**فلسفةً للتاريخ والحضارة** كان محورُها عنده: السمو بالإنسان وبمقدرته على الاختراع والتعلم(١). الأمر الذي دعاه إلى وضعِ نظريةٍ في التربية لضمان التقدم المستمر للإنسان:

- **التربية: الفاعلية الإنسانية**

إنَّ التربيةَ لازمةٌ لإصلاحِ الفردِوالمجتمعِ، وتبدأ- لأنَّ عمرَ الإنسانِ قصيرٌ- من الصِغَرِ. وفي ذلك يقول بروتاجوراس- من كتاب بعنوان **العقل الكبير**-:"**يحتاج التعليمُ إلى الموهبة والممارسة. يجب أنْ يبدأَ التعلمُ من الصِغْر**(٢). لأنَّه: "**لا يتأصل التعليمُ في النفسِ إلا إذا ذهبَ إلى الأعماق**(٣). ويقول: "**لاخيرَ في فنٍ بلا تجربةٍ، أو تجربةٍ بلا فن**"(٤). إنه لكيْ نضمنَ تقدمَنا المستمرَ- بحسب بروتاجوراس- ينبغي أنْ يمارسَ الإنسانُ التربيةَ والتدريبَ المستمرين؛ فتقدمُ التاريخِ مرهونٌ بفاعليته في استمراره.

لقد تم التأسيس النهائي- على يد بروتاجوراس- لرؤية أنثروبو- مركزية، لا ثيو- مركزية.ولسوف يصل هذا الخطُ الإنساني إلى نهاياتِه، ويبلغ كمالَه في **نفيٍ مطلقٍ للزمانِ الأنطولوجي الإيلي،** الدائري المغلق، في إبستمولوجية نافيةٍ مثلتها فلسفة **جورجياس:**

٢- جورجياس: الزمن التصوري

قدّمَ جورجياس الليونتيني(Γοργίας ο Λεοντίννος)**تأكيداً جدليًا للزمانِ النسبي** البروتاجوراسي، وذلك على مرحلتين؛ **الأولى:** سلبية هَدْمِية، في كتابه: "**عن اللاوجود**".**والثانية؛** بنائية إيجابية، في مؤلفه: "**رسالة في مديح هيلين**". تمثلتِ الأولى في **نفي الزمن الأنطولجي الإيلي،** في حين ظهرتِ الثانيةُ في **اقتراحِ صُورةٍ تَصوريةٍ نِسبيةٍ للزمان؛** وذلك على النحو الآتي:

---

(١) أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند إلونان، الجزء الأول،دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٢٦.

(٢) بروتاجوراس : شذرة رقم (٤)، الترجمة العربية، أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة إلونانية،ص ٢٧٣.

(٣) بروتاجوراس : شذرة رقم (١٠)، الترجمة العربية، أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة إلونانية، المرجع نفسه، ص٢٧٣.

(٤) بروتاجوراس: شذرة رقم (١١) الترجمة العربية، د. أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة إلونانية، المرجع نفسه، ص٢٧٣.

- **لا وجود الزمن الأنطولوجي**

اتجـهَ جورجيـاس- متـأثرًا ببروتـاجوراس ومؤيـداً للنسـبية[١]- إلـى معارضـةِ الفلسـفة الإيلية،وصاغَ معارضته في برهنةٍ- جدليةٍوجديدةٍ- تنفي الزمن الإيلي الأنطولوجي، الساكنَ، الأزلـي، الأبـدي، نفيًا راديكإلـياً لا هـوادةَ فيـه،**بطريقـةٍ خطابيـةٍ- أشـادَ بهـا شيشـرون**[٢] **وفيلوسـتراتوس(١٧٠-٢٧٤م)**[٣]**- لكـن يقـف خلفهـا فيلسـوفٌ**[٤].فـي كتابـه: "**عـن اللاوجـود**"،قدم جورجياس قضـايا ثلاثاً؛ هـي- علـى حد تعبيرٍ مدهشٍ **لميشـلين سـوفاج**[٥]- **مراحلُ ثـلاثٍ، فـي كـلامٍ لا تـزوره الآلهـةُ، وهـي: مَـوْتٌ مُثَلَـثٌ للأنطولوجيـا البارميدينيـة!(١) لاشـيءَ موجـودٌ؛(٢) إنْ وجـدَ لا يمكـن إدراكُـه؛ (٣) إذا أمكـنَ إدراكُـه فـلا يمكـن نقلَـه إلـى الغير**. نتيجة لذلك أُتهم جورجياس، في بعض التأويلات،بأنه**عَدَمِيُ (nihilist) الفكرِ**[٦].

والذي يهمنا، من هذه الجدلية، هنا، هو ما يتعلق بنفي الزمن الأنطولوجي الإيلي. **قالَ جورجياس: "الموجود لا وجود له،(١) إنْ أزليًا (٢) أو محدثًا (٣) أو كليهمًا معًا"**:

- **لا يمكن أن يكون الوجودُ أزليًا**، إذْ لوْ كانَ أزليًا فلا أولَ لـه، ومـا لا أولَ لـه فغيرُ محدودٍ. ومـا لا حدَّ لـه فليس لـه مكان، إذ لـو كـانَ لـه مكانٌ، لوجب أنْ يُحوَى فـي شـيءٍ آخـرَ، فـلا يصبح بذلك غير محدود، لأنَّ الـذي يُحوى أكبر ممـا يَحوي، ولا شـيء أكبر من اللامحدود. ولا يمكن أن يحوي نفسـه، وإلا لكـان المَحوي والمُحوى شيئًا واحدً، ويصبح الوجودُ شيئين، أي المكان والجِرْم، وهذا باطلٌ. فإذا كانَ الوجودُ أزليًا كان لا محدودًا، وإذا كان لا محدودًا، فلا مكانَ لـه، وإذا لمْ يكنْ لـه مكانٌ، فهو غيرُ موجود.

---

(1) Jacqueline de Romilly, The Great Sophists in Periclean Athens. p. 97.

(2)Cicero:De Inventione,(I.7.),with an English Translation by H. M. Hubbell, Harvard University Press, London,1949. P. 15.

(3) Philostratus and Eunapius, Lhe lives of the Sophists,with an English Translation by Wilmer Cave Wright, London, Heinemann, New York: Putnam, 1922. p.29.

(4) Jacqueline de Romilly, The Great Sophists in Periclean Athens. p. 96.

(٥) ميشـلين سـوفاج: برمنيـذس، ترجمـة بشـارة صـارجي، المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشـر، بيـروت، ١٩٨١م، ص،١١٩.

(6)Colin Higgins, Gorgias, In The Sophists, an Introduction, Edited by Patricia O'Grady, O'Grady, Bloomsbury Publishing Plc, London, New York, 2008, p.49.

- **ولا يمكن أن يكون مخلوقًا (محدثًا)**، إذ لو كان كذلك، فيجب أن ينشأ من شيء، إما من موجود أو من لا موجود، وكلا الأمرين مستحيل.
- كذلك **لا يمكن أن يكون الموجود أزليًا ومخلوقًا في وقتٍ واحد**، لأن الأزلي والمخلوق متضادان، فلا يوجد الموجود[١].

- **التصور النسبي**

يترتبُ على كلِ ذلك إنكارٌ تامٌ لصورةِالزمن الإيلي الأنطولوجي؛ ليحلَ بدلاً منها صورةُ الزمن النسبي التصوري.**قالَ**جورجياس في رسالة "**في مديح هيلين**":**لما كان من المستحيل على الإنسان أنْ يجمع معرفة ما حدث في الماضي، وما يحدث في الحاضر، وما سيحدث في المستقبل، فإنَّه ينبغي أنْ يقنع الإنسانُ، في كل الموضوعات، بالتصور (= الرأي) فهو الأداة الوحيدة التي تُهدِي العقلَ وترشده**". والتصورُ – كما نعرف– أداةٌ نسبيةٌ ومتغيرةٌ من شخصٍ إلى آخر[٢]. بذلك يحافظ جورجياس على نسبية بروتاجوراس ويؤكدها بجدلٍ عنيفٍ ضد الأنطولوجيا البارمينيدية تحديداً.ولقد كان لكتاب جورجياس في اللاوجود أثره في معاصره ميليسوّس، وفي الفلاسفة اللاحقين له بمن فيهم أفلاطون[٣]. ويمكن القولُ أنَّ فلسفةَ جورجياس قد استبقتْ ظهورَ النزعةِ الإنسانية[٤].**أما فكرة تقدم الجنس البشري**، فتأكيدها سوف يكونُ مهمةَ فلسفةِ كريتياس السياسية والأخلاقية:

٣– كريتياس: الزمن التطوري

قدّمَ كريتياس(**Kritíaς**) **صورةً للزمانِ التطوري للجنسِ البشري، في مقابل فكرةِ الزمن الأبدي الإلهي**. ويُعد كريتياس أولَ من نادى بحالةِ **الفوضى الأولى**؛ أو الحالة الطبيعية الأولى، حالة التوحش، التي تجاوزها البشرُ بسَّنِهم للقوانين التي ضبطتِ الجرائمَ التي تُرتَكب في العَلَن، والتي نقلتهم من حالة التوحش إلى حالة المدنية والتقدم الإنساني. وكان اختراعُ فكرةِ الآلهةِ الأبديةِ– حسب كريتياس– أمراً ضروريًا لمواجهةِ الجرائمِ التي تُرتكبُ في الخَفَاء، معلنًا بذلك: **أن الأبدية الميثولوجية والميتافيزيقية ما هي إلا مجردُ خدْعَةٍ سياسيةٍ**؛تمتْ على يدِ سياسيٍ ماكرٍ:

---

(١) أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة إلىونانية قبل سقراط، ص ٢٧٩.

(٢) محمود السيد مراد: فلسفة التنوير لدى السوفسطائيين، بحث غير منشور، رسالة ماجستير، جامعة أسيوط، كلية الآداب، قسم الفلسفة، ١٩٩٤م، ص، ٩٩.

(3) Patrica Curd & Richard D.Mckirahan, A Pre-Socratics Reader .p.148.

(4)Colin Higgins, Gorgias, p.54.

- **الزمن البدائي: حالة الفوضى الأولى**

افترض كريتياس أنَّ البشرَ ،في بدايةِ تاريخِ الإنسانية، قد عاشوا حالةً من الفوضى الشاملةِ، فهو يقول في مسرحيته **سيسيفوس (Sisyphus)**: "**عاشَ البشرُ في البدايةِ في حالةٍ من الوحشيةِ فلمْ يكنْ ثمةَ تفرقة بين الخير والشر**"(١). وهذه الحربُ الجماعيةُ الأولى هي التي سيطلق علها **توماس هوبز**، فيما بعد، **حربَ الكلِ ضد الكل (Bellum Omnium Contra Omenes)**(٢).

- **الزمن التقدمي: الخروج من الفوضى**

هكذا انطلقَ كريتياس من **حالةٍ مُفْتَرَضَةٍ** بوجود حربٍ جماعيةٍ، والتي يعيش فيها الناسُ دون الخضوع للقانون أو النظام(٣).وللخروج من حالةِ الوحشيةِالعلنيةِهذه يقرر كريتياس أنَّ**فكرةً سياسيةً** –مِنْ قِبَلِ سياسيٍ ما– ابتدَعتِ القانونَ الذي كانَ قادراً على إخراجِ الناسِ من الفوضى إلى النظامِ، ومن التمردِ والعصيانِ إلى الطاعةِ والخضوعِ، ومن انعدامِ الأمنِ إلى إقراره، كما وَرَدَ في مسرحيته **(سيسيفوس)**، حيثُ يقولُ كريتياس: "كانت حياةُ البشر في حالةٍ من الفوضى والوحشية وتحَكُّمِ القوةِ، فلمْ يكنْ ثمةَ ثواب لحياةِ الفضيلة، أو عقاب لحياةِ الشر، عندها– كما أتصورُ– سنَّ البشرُ قوانينَ الجزاءِ والعقاب، على أمل أنْ تصبحَ العدالةُ (δική) حاكمةً للجنسِ البشرى كلِه، وحتى يخضع لها المتكبرُ، ويتم توقيعُ العقابِ على كلِ مذنبٍ"(٤).

- **الزمن الأبديُ:الخُدْعَة السياسية**

لكنَّ الناسَ ارتكبوا سرًا تلك الأعمالَ التي لا يستطيعون أنْ يفعلوها علنًا خوفاً من القانون، وهكذا عاشوا وفقًا للطبيعة"(٥). ولكن بقيتِ الجرائمُ، التي تُرتكبُ في السرِ والخفاءِ، لا عقابَ عليها من شرعٍ أو قانون. فمن أجلِ القضاءِ على ارتكاب الجرائم غير المشروعة بشكلٍ سري أدخلَ **صانعٌ ماكرٌ** (A Cunning Craftsman) الألوهيةَ في حياة البشر

---

(1) M. Untresteiner, The Sophists, Trans by, K. freeman, Basil Blackwell, Oxford, 1954. P. 333.

(٢) إمام عبد الفتاح إمام: توماس هوبز فيلسوف العقلانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٢٩١.

(3) M.C. Nahm,Selections from Early Greek Philosophy, Appleton Century Inc. 3rd Ed, 3rd Ed, New York, 1967, P. 262.

(4) M.C. Nahm, Selections from Early Greek Philosophy. p. 263.

(5) M. Untresteiner,The Sophists.P.333.

وخدعهم- كما يروي كريتياس- قائلاً: "إن ثمة إلهًا يتصف بالحياة **الأزلية**، يسمع ويرى بعقله، ويحيط ويعتني بكل شيء، كما ويتصف بالطبيعة الإلهية، وهو يستمع لكل كلمةٍ يتفوه بها البشرُ، ولديه القوةُ ليرى كلَ ما يصنعونه؛ حتى لو أنَّك خططت لأنْ تفعلَ الشرَ، فإنَّ ذلك لنْ ينطلى على الآلهة بالتأكيد، فلدى الآلهة تستقر الحكمةُ؛ لذلك قدَّمَ- هذا الرجلُ بالغُ الذكاء- بقوله هذا الكلام- **أكثرَ المذاهب مكرًا**، وليس ثمة حقيقة فعلية تتخفى وراء كلامه هذا. وقد تكلم عن المكان الذي تقيم فيه الآلهة، واختار هذا المكان الذي كان الأعظمُ ترويعًا للبشر؛ المكان الذي يعلم أنَّ منه تنزلُ على البشرِ كلُ أشكالِ الرعب، وكذلك أنواعُ الرخاءِ التي تُسّهِل حياةَ البشرِ المُتْعَبَة. هناك يقيم الإلهُ في عليائه، حيث يرسل بالبرق، وضرباتِ الرعدِ، وحيث صفحة السماءِ المليئةِ بالنجوم، التي تلمع متلألئة، والتي أبدعها فنانٌ ماهر، **ومنها جاء الزمن**. وكذلك من هناك أيضًا، تسقط كتلةُ النيازك الوهَّاجة، تتسارع، و ينحدر معها المطرُ أيضًا على الأرض. وكانت هذه هي المخاوف التي طوَّقَ بها هذا الحكيمُ البشرَ، واستطاعَ أنْ يفردَ بها مكاناً ملائماً للإله.لقد اقنع هذا الرجلُ الناسَ- المغرمين بالألوهية- بأنَّ هناك إلهًا يعلم الأشياءَ جميعًا، أبديًا، ومهتمًا بالفضيلة. وقد أعلَّنَ هذا الرجلُ أنَّ الآلهةَ تقطن في السماء، والتي منها تأتي الرعودُ والبروقُ، وحيث توجد النجوم:" **الزخرفة الجميلة للزمان من قبل صانع ماهر**"، **والشمس والقمر، هكذا غمرهم بالرعب**. وقد استطاع هذا الإنسان منعَ الفوضى بين الناسِ عن طريق بث المخاوفِ بين البشر، وإقامةِ الألوهية، بالحجة البينة، وفي مكانٍ يليقُ بها[1].وبكلامه هذا، وبهذا البيتِ المناسب لسكن الآلهة، استطاع- ذلك الرجل الحكيمُ الذكيُ- أنْ يقضىَ على الفوضى بالقوانين."**بهذا استطاعَ رجلٌ ما**- هكذا يقرر كريتياس- **للمرة الأولى، إقناعَ البشرِ بأنْ يؤمنوا بوجودِ جنسٍ من الآلهة**"[2].وبذلك "**جعلَ الأشرارَ يخافون من ارتكابِ الجرائمِ في السرِ كما كانوا، بل ويخافون حتى من مجرد الكلام عنها أو حتى التفكير فيها**[3]".

إذن **فالأبديةُ**- في نظر كريتياس- هي مجردُ **خُدْعَةٍ سياسيةٍ(Political Device)**؛ دعتْ إليها حاجةُ الانتقالِ من حالةِ الفوضى إلى حالةِ النظام.والغرضُ منها هو ضمانُ التزامِ المواطنين جَادَةَ الصوابِ؛ خشيةَ العقابِ الذي يمكنُ أنْ تُوقِعُهُ الآلهةُ عليهم[4]. وهكذااُخترعتِ

---

(1) K. Freeman, The Pre-Socratic philosophers.p. 412.

(2) M.C. Nahm, Selections from Early Greek Philosophy.P. 264.

(3) M. Untresteine,The Sophists .p. 334.

(4) A.S. Bogomolov,History of Ancient Philosophy, Greece and Rome, trans by: V. Stankerich, Progress Publishers, Moscow, 1985.p. 123.

الآلهةُ الأبديةُ واُخترعَ الدينُ لعامةِ الشعب، لضمانِ طاعتِهم، وليس للحاكمِ المستنير[١].ومن ثمَّ تكونُ الآلهةُ محضَ اختراعٍ بشري، وتكونُ فكرةُ الأبديةِ فكرةً مُخترعةً؛ **وليس ثمةَ وجودٍ إلا للزمانِ الإنساني؛ وهو في حالةٍ من التقدمِ المُستَمرِ إلى غير نهاية.** وبهذا قرَرَ كريتياس **فكرةَ تقدمِ الجنسِ البشري، وأنَّ الحضارةَ والرقيَ محضُ خلقٍ في زمانٍ إنساني مُستمرٍ**.وإذا كانَ كريتياس قدْ ذهبَ إلى أنَّ**الأبديةَ:** الزمن الإلهي، مجردُ خُدْعَةٍ سياسيةٍ، فإنَّ بروديكوس قد قرَرَ أنَّها– أي الأبديةُ– مجردُ**خُدْعَةٍ لُغَوِيةٍ:**

٤– بروديكوس: الزمن المستمر

ربما كانَ الفيلسوفُ السوفسطائي **بروديكوسالكيوسي (Πρόδικος ο Κειος)** هو أولَ مَنْ استخدمَ **منهجَ التحليلِ اللُغوي** ليقررَ نفيَ الألوهيةِ، المتوارثةِ مِنْ التراثِ الميثولوجي الهوميري– الهزيودي، وكذلك من التراث الأورفي.ومن ثمَّ فإنَّ **خداعَ اللغةِ**(وهو أحد لوازم التحليل البروديكوسي اللُغوي لفراغ أسماءِ الآلهةِ من المعني)**هو أصلُ الاعتقادِ بوجودِالزمن الأزلي الأبدي.** وإذا كانتِ الآلهةُ لا وجودَ لها، والأبديةُ والخلودُ الإنساني الأُخروي خُدْعَةً لُغويةً فلم يبقَ، ثمّ، إلا دورُ الفاعليةِ الإنسانيةِ في تقدمِ التاريخ:

- **المَدْخَل اللُغوي:**

اشتغلَ بروديكوس **بالدراساتِ اللُغوية (Linguistic Studies)**،محققاً أهميةً فلسفيةً عظيمةً جداً، كما يقول**كيرفيرد** [٢]،إلى حد اعتباره مؤسساً لعددٍ من علوم اللغة: **علم المترادفات (Synonyms)** كما يرى **زيلر**[٣]، و **علم المصطلح (Terminology)، وعلم دراسة أصل الكلمات (Etymologies)** كما يقول **رولف**[٤].ويعطينا **أفلاطون**– في محاورة بروتاجوراس[٥]– أمثلةً عديدةً لمقدرة بروديكوس اللُغوية الأمر الذي جعلمن بروديكوس–كما تقول **كاثلين فريمان**[٦]– أحسنَ السوفسطائيين في ذلك الفرع من العلوم. على أيةِ حالٍ فإنَّ كلَ

---

(1) W.K.C. Guthrie, The Sophists,Cambridge University press. New York, 1988 .p. 301.

(2) G.B. Kerferd, The Sophistic Movement .p. 46.

(3) E. Zeller,Outlines of The History of Greek Philosophy. p. 84.

(4) Rolph, Ahistory of Western philosophy, Henery Regneny Company, Chicago,V 1, 1963, P. 104.

(٥) أفلاطون: بروتاجوراس، ٣٤١:٣٣٩، ص ص٧٨–٨٢.

(6) K. Freeman, The Pre–Socratic philosophers .P. 372.

كلَ ما يمكن قولُه– مع **جُثري**[1]– أنَّ المظاهرَ البارزةَ في تعإلم بروديكوس، والتي نعرفها بشكلٍ كافٍ، والتي تشكل أهميةً فلسفيةً ما، هي شغفُه بالاستخدامِ الدقيق للغة. ويمكن أنْ نعدَ تلك الدراساتِ اللُغويةَ بمثابةِ مدخلٍ لدراسةِ أصلِ الاعتقادِ في الآلهة، وأصلِ فكرة الخلود والأبدية:

- **الأبديةُ: الخُدْعَةُ اللُغوية:**

بهذا المنهج اللُغوي بحث بروديكوس عن الأصل في نشأة فكرة الألوهية عند الإنسان، وصِلةِ ذلك بالمجتمع، وكيف عرفَ البشرُ أنَّ هناك آلهةً موجودةً تتحكمُ في الإنسانِ وتقررُ مسيرَه ومصيرَه. **فمن خلال تحليل أسماء الآلهة إلىونانية تحليلاً لُغوياً عميقاً استطاع بروديكوس أنْ يتوصلَ إلى النتيجة الآتية:** الآلهة إنْ هيَ إلا أسماءٌ فارغةُ المعنى، أي لا وجود لفئة أزلية أبدية– تسمى الآلهة– تكمن وراءها. **إن التحليلَ اللغويَ لأسماء الآلهة: ديميتير (Δημητηρ)،ديونيسوس (Διονυσος)،بوسيدون(Ποσειδων)، هفايستوس (Ηφαιστος)**، يكشف عن كونها مجرد أسماء لأشياء نافعة متعلقة بالزراعة، ولا وجود حقيقي لآلهةٍ يعبدها الناسُ: إنَّ **ديميتر**، حسب علم أصول الكلمات، ليست إلهةَ الزراعة، ولا هي إلهةَ العالم السفلي، إلهة ديانة **الأسرار الإلىوسية(EleusinianMysteries)**، وإنما كلمةٌ تعني فقط: **الخبز**. و**ديونيسوس**[2]، ليس هو ذلك الإلهَ المشخصَ، إله الديانتين السريتين: **الديونيسوسية (Dionysism) والأورفية (Orphism)**، وإنما كلمةٌ تعني، في نهاية التحليل اللغوي: **الخمر**. **وبوسيدون**، ليس هو إله البحر **ومحرك الزلازل (ἐννοσιγαιος)** ولا هو حامل الحربة ذات الشوكة الثلاثية، وإنما هي مجرد كلمة لا تعني سوى: **الماء**. **وهيفايستوس**، ليس إلهاً للحدادة، ولا هو صانعَ أسلحةِ الآلهة الفتاكةِ، وإنما هي كلمةٌ ليست إلا للدلالة على: **النار**. وهكذا بقية **البانثيون الإغريقي**.

فإذا كانتِ الآلهةُ هي في الأصلِ مجرد أسماء لأشياء نافعة، فهذا يعني أنها لا علاقة لها بالإنسان، و لا تعتني به. وكيف تعتني بالإنسان وهو الذي ألبس هذه "**الأسماء**"، أو تلك "**الألفاظ**"، ثوبَ الألوهية القشيب؟ والموت انتحاراً – في نظر بروديكوس–قد يكون جائزًا للتخلص من متاعب الحياة، ولكنَّ **الخوفَ من الموت** أمرٌ غيرُ جائزٍ؛ لأنه لا توجد حياةٌ خالدةٌ بعد الموت. ويؤدي مثل هذا "**التشاؤم الكوزمولوجي**" **(Cosmological Pessimism)**، على حد

(1) W.K.C. Guthrie, The Sophists.P. 280.

(2) F.M. Cornford, From Religion To Philosophy,1991. p.111.

تعبير **أنترشتاينر**[1]، في التحليل الأخير، إلى تدمير الإيمان التقليدي. وهكذا ومن خلال تحليلٍ لغوي عميق، يقرر بروديكوس أنه: لا وجود لآلهة خالدة: أزلية أبدية. ومن ثم ينفي بروديكوس الزمن الميثولوجي، والزمن الميتافيزيقي معًا. وإذن ليس ثمة إلا الإنسان وحده وفاعليته في تقدم التاريخ؛ لأنَّ هذا هو ما تمليه طبيعةُ الإنسان:

- **طبيعةُ الإنسان:**

لمْ يكتفِ بروديكوس بتطبيق نظريته في تحليل الأسماء على ظاهرة الألوهية، مستخلصاً النتائج المترتبة عليها واللازمة عنها: من إنكار العناية الإلهية، والتخلص من فكرة الخوف من الموت، ونهاية حياة الإنسان بموته، ومن ثم إنكار الزمن الأبدي، وإنما راح – مستعيناً بمقدرته اللغوية في التحليل– يعرض لنا مذهباً في الأخلاق والتربية عرضًا لُغوياً رمزياً حسب رواية "**كسينوفون**" في مذكراته[2]الذي ذكر "**أسطورةَ هرقل**"؛ تلك الأسطورة التي اخترعها بروديكوس، وصاغها في قالب رمزي،(على غرار ما فعل بروتاجوراس في أسطورة **بريمثيوس** وجورجياس في أسطورة **هيلين**)،حيث أعادَ تشكيلَ القصةِ وإنتاج قصة رمزية تخدم فلسفته[3]. والتي ملخصها أنَّ هرقل قابَلَ، في صدر شبابه، امرأتين، إحداهما ترمزُ للفضيلة، وأما الأخرى فترمزُ للرذيلة. ودعته كلٌ منهما إلى اتباع طريقَها وعليه أنْ يختارَ: إما طريق الفضيلة وإما طريق الرذيلة. فاختار هرقل طريقَ الفضيلةِ. وعلى ذلك **تكون الطبيعةُ هي التي تهدي إلى الفضيلة وإلى الخير**[4]، **وليست الآلهةُ كما تصورتها الديانةُ التقليدية**. وبهذا يُقرُ بروديكوس بالفاعليةِ الإنسانيةِ في تقدم الجنس البشري والتاريخ. الأمر الذي سيواصله أنطيفون أيضًا:

٥- أنطيفون: الزمن الطبيعي

فرقتْ فلسفةُ أنطيفون (Αντιφών) بين صورتينِ للزمانِ: **صورة الزمن الطبيعي، وصورة الزمن الإنساني**؛ الزمن الأول: الزمن الأزلي الطبيعي، وهو مجرد معيارٍ للوقت، ولا

---

(1) M. Untresteiner, The Sophists.p. 211.

(2) Xenophon, Memorabilia of Socrates, Book11,chap, 1, 20:34 Trans by:- R. J. S Watson, in: " Socrates Discourses ".J M Dent 8, Son LTD, London, 1951. pp.41-45.

(3) Craig Cooper, Prodicus, In The Sophists, an Introduction, Edited by Patricia O'Grady, Bloomsbury Publishing Plc, London, New York, 2008. p.74.

(٤) أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند إلبونان،١٩٨٦م، ص١٣٣.

وجود للآلهة الأبدية الخالدة، ولا صحة للخلود الفردي، بينما الثاني هو مجال الفاعلية الإنسانية والتقدم الإنساني، الذي يوصلُ الإنسانَ إلى السعادةِ الدنيوية:

- **الآلهة: مزاعمُ البشر**

يعتقدأنطيفون أنَّ العناصرَ الأربعةَ (الماء والنار والهواء والتراب) هي أصلُ تكوينِ الكونِ كلِه، وأنَّ كلَ الأشياءِ والحيواناتِ والنباتاتِ، شكلَّتها العناصرُ، وهي مبادئُ ماديةٌ محضة. **إذنْ**جميعُ الأشياءِ لمْ يوجدها أيُ إلهٍ من الآلهةِ، لكن بالطبيعةِ وبالمصادفة، وبفعل قانون الحتمية (αναγκη)وحده[١]. إنَّ كلمةَ إلهٍ وآلهةٍ هي موجودة بفعل الفن، وليس بفعل الطبيعة، ولكن– يتساءل أنطيفون– ما قيمتها الحقيقية؟ لقد أكدَّ أنَّ البشرَ هم الذين تواضعوا واتفقوا على وجود الآلهةِ بينهم، وأكبر دليل على ذلك هو أنَّ الآلهةَ تختلفُ من مكانٍ إلى آخر[٢]؛ وأنَّ القوانينَ المُتَبَادَلةَ والمتفقَ عليها بين الناس هي التي أوجدتها؛ وأنَّ كلَ مدينةِ أبدعتْ آلهتِها الخاصةَ بها، ولو كان ثمة إله حق، لاتفق عليه الجميعُ، ولعبدته المدنُ كلُها. أما وأنَّ الآلهةَ متنوعةٌ متعددة– بتعدد الأماكن وتعدد المدن– فهذا دليلٌ على أنها غير موجودة كحقيقةٍ واقعية ثابتة، بل هي أشياء ذاتية من ابتكارِ واضعِيها. إنَّ الآلهةَ هي– في نظر أنطيفون– **مجرد مزاعم متعارف عليهابين البشر، ولا وجود "طبيعي" لها**[٣].

- **لا جوهرية الزمن:**

قال **أنطيفون**في كتابه"**περι αληθειας-في الحقيقة**"– :»**νόημα ἤ μέτρον**: **τόν χρόνον**, **οὐχὑπόστασιν جوهراً**)[٥]. لقد أنكر أنطيفون إذاً جوهريةَالزمن وأبديتِه، فهو من ناحية يُعدُمفهوماً أو مقياساً **ولیس** **مفهومٌ أو مقياسٌ للوقتِ** **أي: "إنَّ الزمن هو** [٤]

---

(1) M. Untresteiner,The Sophists.pp. 241- 242.

(2) Ibid.p. 243.

(3) M. Untresteiner,The Sophists, , Ibid.p. 243.

(4) Diels, Hermann, and Walther Kranz, eds. Die Fragmente der Vorsokratiker. Berlin: Weidmann,(87 B9) 1951-52. .

(٥) يوجد خلاف حول نسبة هذا النص هل هو لأنطيفون السوفسطائي (Antiphon the sophist) أم لأنطيفون الشاعر الكوميدي(Antiphanes the comic poet)؟ على أن ريتشارد سورابجي (Richard Sorabji)اقترح نسبةَ النص إلى شخصٍ ثالث هو مشائي صغير(.aminor peripatetic)! وقد ناقشتْ ورقةٌ بحثيةٌ لفرانسيس دان(Francis M. Dunn)ما ذهب إليه ديلز– كرانز من أن النص لأنطيفون السوفسطائي، انظر:

Francis M. Dunn, Antiphon on Time (B9 D-K), The American Journal of Philology, The Johns Hopkins University Press, Vol. 117, No. 1 (Spring, 1996), pp. 65-69.

للوقتِ، ومن ناحيةٍ أخرى يكون نسبياً ومَسْرَحًا تمارِسُ فيه فاعليةُ الإنسانِ دورَها التقدمي. لأن حياة الإنسان قصيرة وسريعة الزوال تشبه يومًا واحدًا سرعان ما يمر (B50)[١]، ولا شيء وضيعاً كان أم نبيلاً يدوم إلا لفترة وجيزة (B51)[٢]والزمن الماضي غير قابل لإعادته مثلما نعيد ترتيب قطع على طاولة (B52)[٣]. وأكد في كتابه "في تفسير الأحلام"أن الزمن هو أغلى سلعة ننفقها(B77)[٤].وعليه؛ إن الزمن– بحسب أنطيفون– ليس جوهراً، ولا وجود له؛ بغض النظر عن الأحداث الملحوظة بشكل مؤقت[٥].

- **القوانين الطبيعية:**

قابلَ أنطيفون بين **القانون (ὀνόμός)، والطبيعة (φυσις)**[٦]؛**ورأى أن معظم أفعال العدل الموافقة للشرائع تناقض الطبيعة؛ فإذا كانتِ الطبيعةُ تسيرُ بفعلِ القوانينَ الطبيعيةِ، فإنَّ المجتمعاتِ تسيرُ وتتقدمُ بفعلِ الفاعليةِ الإنسانيةِ، التي رآها أنطيفون مرادفةً للطبيعة؛** فذكر في كتابه "**في الحقيقة**":"أن على المرء أن يخضع لنواميس المدينة في حضرة الناس، وأن يخضع **لأوامر الطبيعة (τατεςφυσεον)** إذا كان بينه وبين نفسه لا يشهده أحد[٧]". ويقول أنطيفون أيضاً: "إنَّ الطبيعةَ قد حَبتْ الناسَ جميعاً بالمواهب نفسها سواء أكانوا يونانيين أم متبربرين. وفي مقدور الناس جميعاً ملاحظة قوانين الطبيعة الضرورية لسائر البشر، فلا يختص أحدُنا بأي مَزْيةٍ من هذه القوى الطبيعية؛ إغريقياً كانَ أمْ بربرياً، فنحن جميعاً– هكذا يقول أنطيفون– نستنشق الهواء نفسه من الفم والرئتين، وكلُنا يتناولُ الطعامَ بإلبد"[٨].

- **السعادة الدنيوية:**

كما قررَ أنطيفون أنَّ السبيلَ الوحيدَ إلى الحياةِ السعيدةِ هو التربيةُ، وأنَّ الشيءَ الأكثرَ أهميةً للبشريةِ هو التربية؛لأنه إذا كانتِ البدايةُ صحيحةً، فالنهايةُ ستكون كذلك، فنحن لا

---

(1) K. Freeman, Ancilla to the Pre-Socratic Philosophers, Basil Blackwell,Oxford, 1948 .p.151.

(2) K. Freeman, Ancilla to the Pre-Socratic Philosophers, Ibid. p.151.

(3) Ibid. p.151.

(4) Ibid. p.154.

(5) Francis M. Dunn, Antiphon on Time (B9 D-K), p. 69.

(6) J. Zeyl,Theism and Atheism" in Encyclopedia of Classical Philosophy, Chicago, London, 1997. p. 41.

(٧) أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة إلىونانية قبل سقراط،ص٢٩٣.

(٨) أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة إلىونانية قبل سقراط،ص٢٩٤.

نحصد إلا ما نزرعه فقط؛ فالتربيةُ الحسنةُ والجيدةُ لشابٍ صغيرِ السنِ سوف تثمرُ في حياتِه كلِها، ولا يمكن أنْ تحطِّمَه كوارثُ الحياةِ ومصائبِها[١].وإذا ما كانتِ الحياةُ ممتلئةً بالآلام، وهي إلى ذلك قصيرة الأمد، فإنَّ السعيدَ مَنْ ينتهب اللذاتِ فيها، وإنَّ الشقيَ هو مَنْ يزهدُ في حياته الحاضرة تمهيداً للحياة الأخرى[٢].وهكذا يعلق أنطيفون أهميةً كبيرةً على التربية وعلى التعليم لضمان سعادة الفرد ورقي الجنس البشري، وأن هذه السعادة هي غاية الإنسان وهدفه النهائي من وجوده في هذا العالم.

نتيجة: صورة الزمن السوفسطائي: الزمن الأنثروبولوجي التقدمي

هكذا قدَّمَ أعلامُ السوفسطائيين صوراً متعددةً للزمان: **الزمن النسبي** عند بروتاجوراس، **والتصوري** عند جورجياس، **والتطوري** عند كريتياس، **والمستمر** عند بروديكوس، **والطبيعي** عند أنطيفون. وكلُها **صورٌ مختلفةٌ بالكليةِ عن الزمن الثيولوجي الميثولوجي، والزمن الميتافيزيقي الفلسفي**. ولكنْ تجمعُها صورةٌ واحدةٌ مشتركةٌ؛ هي **الصورةُ الثالثةُ للزمان: الزمن الأنثروبولوجي، التقدمي، المفتوح**. صورةُ **زمانٍ غير مغلق؛ لا يعود إلى نفسِهِ ولا يكرر نفسَه**.فالتقدمُ حاصلٌ بمقدارِ تَعَلِمِ الفضائلِ، والتربيةُ لازمةٌ لصالح الفرد والمجتمع. وكل ذلك يتطلب النسبية وهو نتيجة لها.

---

(1) K. Freeman,The Pre-Socratic philosophers.p. 401.

(٢) أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة إلىونانية قبل سقراط، ص٢٩٨.

نتائج البحث

النتائجُ الجزئيةُ موزعةٌ على تعقيبات محاورِ البحثِ الثلاثة؛ فلنثبت هنا نتائجَه العامةَ، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: عرضتُ لنوعيةِ صورِ **الزمن**عند هوميروس، وهسيودوس، وأورفيوس، مستخلصًا منها **هرمنيوطيقا الزمن الميثولوجي: خلود الإلهي وسقوط البشري.**

ثانيًا: بحثتُ جوهرَ **هرمنيوطيقا** الزمن **الفلسفي،** عند تسعة من الفلاسفة السابقين على السوفسطائيين، مستنبطًا منها **هرمنيوطيقا الزمن الفلسفي: الزمن الميتافيزيقي الدائري.**

ثالثًا: فحصتُ طبيعةَ صورِ الزمن، عند خمسة من السوفسطائيين، مستخرجاً منها، خلافًا **لهرمنيوطيقا الزمن الميثولوجي،** والمغايرة **كذلك لهرمنيوطيقا الزمن الميتافيزيقي، هرمنيوطيقا الزمن عند السوفسطائيين: الزمن الأنثروبولوجي التقدمي.**

رابعًا: هذا هو الدرسُ– في الألفيةِ الثالثة– الذي يعلمنا إياهُ السوفسطائيون: **مفهوم التقدم المستمر إلى الأمام.** ولايزال زماننُا العربيُ إما دائرياً مغلقًا، يستوى فيه طرفا البدايةِ والنهايةِ: المبدأُ فيه عينُ المعاد. وإما إلى الخلف: إلى ماضٍ لنْ يعودَ. أو إلى الأمام: إلى مستقبلٍ يوتوبي لنْ يأتي. وليس متجهاً إلى الأمام، بالجهدِ البشري والفاعليةِ الإنسانيةِ التي لا يوقفها شيءٌ. وقد تقدَّمَ الغربُ إلى الأمامِ لأنَّه وعى درسَ السوفسطائيين، عن هرمنيوطيقا الزمن، فهل نَعِيَهُ نحنُ؟

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

- **المصادر المترجمة إلى اللغة العربية**

١- أرسطو:الفيزياء، السماع الطبيعي، ترجمة عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٨م.

٢- ـــــ: الميتافيزيقا، ترجمة كاملة لكتاب ميتافيزيقا أرسطو، إمام عبد الفتاح إمام، ضمن كتابه: مدخل إلى الميتافيزيقا، نهضة مصر، القاهرة،الطبعة الرابعة، ٢٠١٤م.

٣- ـــــ: علم الطبيعة، ترجمه إلى الفرنسية بارتلمي سانتهلير، نقله إلى العربية أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥م.

٤- أفلاطون: بروتاجوراس، ترجمة ودراسة: محمد كمال الدين علي يوسف، راجعها، محمد صقر خفاجة، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

٥- ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل إلىوناني، محمد حمدي إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،المجلد الثالث، ٢٠١٤م.

٦- هوميروس: الإلىاذة، تحرير ومراجعة أحمد عتمان، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٤م.

- **المصادرالمترجمة إلى اللغة الإنجليزية**

7- Aristotle, Physics, The Works of Aristotle,Trans by R.P.Hardie and R.K.Gaye, in Great Books of The Western World, Ed by, R. MHutchins, Vol 8, William Benton Publisher, Encyclopaedia Britannica, Chicago, London,vol.1, 1952.

8- ____, Rhetoric, The Works of Aristotle,Trans by R.P.Hardie and R.K.Gaye, in Great Books of The Western World, Ed by, R. MHutchins, Vol 8, William Benton Publisher, Encyclopaedia Britannica, Chicago, London,vol.1, 1952.

9- Cicero, De Inventione, with an English Translation by H. M. Hubbell, Harvard University Press, London,1949.

10- Diogenes Laretius, Lives of Eminent Philosophers, Trans by, R. D. Hicks, M.A. Cambridge, Massachusetts, Harvard university Press, London,Vol. 11,1972.

11- Hesiod, Works and Days, in Hesiod, Theogony, Works and Days, Testimonia, Ed. & Trans. Glenn W. Most, Harfard University Press, Cambridge, Massachusetts, London, England, 2006.

12- Philostratus and Eunapius, the Lives of the Sophists, with an English Translation by Wilmer Cave Wright, London, Heinemann, New York: Putnam, 1922.

13- Xenophon, Memorabilia of Socrates, Trans by:- R. J. S Watson, in: " Socrates Discourses ".J M Dent 8, Son LTD, London, 1951.

ثانيًا– المراجع:

- **المراجع العربية**

١٤- إمام (إمام عبد الفتاح): توماس هوبز فيلسوف العقلانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥م.

١٥- الأهواني (أحمد فؤاد): فجر الفلسفة إلىونانية قبل سقراط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،٢٠٠٩م.

١٦- بدوي (عبد الرحمن): الزمن الوجودي، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة،١٩٧٣.

١٧- بوعزة (الطيب): تاريخ الفكر الفلسفي الغربي: قراءة نقدية (٤)، كزينوفان والفلسفة الإيلية، قراءة في أطاريح كزينوفان، برمنيد، زينون، ميليسوس، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت،٢٠١٦.

١٨- ـــــ : تاريخ الفكر الفلسفي الغربي: قراءة نقدية (٦)، أفول التفلسف الأيوني، قراءة في أطاريح أمبادوقليس، أنكساغور، لوقيبوس،ديموقريط، ديوجين، أرخيلاوس، هيبو، ميطرودور، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت،٢٠١٦م.

١٩- ـــــ : تاريخ الفكر الفلسفي الغربي: قراءة نقدية (٢) الفلسفة إلىونانية ما قبل السقراطية (١)الفلسفة الملطية أو لحظة التأسيس، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠١٣م.
٢٠- جادامير (هانز جورج): بداية الفلسفة، ترجمة على حاكم صالح و حسن ناظم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠٠٢م.
٢١- الخولي (يمنى طريف):الزمن في الفلسفة والعلم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.
٢٢- سالم (محمد سليم): قصيدة الأعمال والأيام لهيسيودوس، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦.
٢٣- سوفاج (ميشلين): برمنيذس، ترجمة د.بشارة صارجي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١م.
٢٤- السيد (محمد عبد الغني): التوحيد في الفكر إلىوناني القديم، الجمعية المصرية للدراسات إلىونانية والرومانية، الكتاب السنوي الرابع، القاهرة، ٩٩ – ٢٠٠٠م.
٢٥- عبد الله (محمد فتحي): النحلة الأورفية، أصولها وآثارها في العالم إلىوناني، الدار الأندلسية، العصافرة، الإسكندرية، ١٩٩٠م.
٢٦- فخري (ماجد): تاريخ الفلسفة إلىونانية من طإلس إلى أفلوطين وبرَقلِس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١م.
٢٧- فينلي (م. آي.): عالم أوديسيوس: ترجمة وتقديم محمد غبودي إبراهيم والسيد جاد،المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤م.
٢٨- قرني (عزت): الفلسفة إلىونانية حتى أفلاطون، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٣.
٢٩- مراد(محمود السيد): فلسفة التنوير لدى السوفسطائيين، بحث غير منشور، رسالة ماجستير، جامعة أسيوط، كلية الآداب، قسم الفلسفة، ١٩٩٤م.
٣٠- مطر (أميرة حلمي): الفلسفة عند إلىونان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، الجزء الأول، ١٩٨٦م.

٣١- موتسوبولوس (إيفا جيلوس):من الأسطورة إلى المنطق، ترجمة ودراسة وتعليق، هدى الخولي، مشروع جامعة القاهرة للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠م.

- **مراجع باللغة الإنجليزية**

32- Armstrong (A. H.), An Introduction To Ancient Philosophy, Methuen & CO , LTD , London , 1981.

33- Bogomolov (A.S.), History of Ancient Philosophy, Greece and Rome, trans by, V. Stankerich, Progress Publishers, Moscow, 1985.

34- Burnet (J.), Early Greek Philosophy,Adam & Charles-Black, London,4 thEd, 1975.

35- Cohen (S. Marc), Curd (Patrica), Readings in Ancient Greek Philosophy from Thales to Aristotle, Hackett Publishing Company, Inc, Indianapolis, Cambridge, 4th Ed, 2011.

36- Cooper (Craig), Prodicus, In The Sophists, an Introduction, Edited by Patricia O'Grady, Bloomsbury Publishing Plc, London, New York, 2008.

37- Cornford (F.M.), From Religion To Philosophy, Princenton University press, Princenton, 1991.

38- Curd (Patrica) &.Mckirahan (Richard D), A Pre-Socratics Reader, Selected Fragments and Testimonia, Hackett Publishing Company, Inc. Indianapolis, Cambridge, Second Edition, 2011.

39- De Romilly (Jacqueline), The Great Sophists in Periclean Athens, OxfordUniversity Press, London,2002.

40- Drozdek (Adam), In the Beginning was the Apeiron, Infinity in Greek Philosophy, Franz Steiner Stuttgart, 2008.

41- Dunn (Francis M.), Antiphon on Time (B9 D-K), The American Journal of Philology, The Johns Hopkins University Press, Vol. 117, No. 1 (Spring, 1996).

42- Gomperz (Theodor), The Greek Thinkers,The Greek Thinkers, trans By Laurie Magnus, John Murray,Albemarle Street,W, London, 1964.

43- Freeman (K.), Ancilla to the Pre-Socratic Philosophers, Basil Blackwell,Oxford, 1948.

44- ____, The Pre-Socratic philosophers,Basil Black Well Oxford,2nd Ed. 1959.

45- Guthrie (W. K. C.),Orpheus and Greek Religion, A Study of the Orphic Movement, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1993.

46- ____ ,The Sophists, Cambridge University press. New York, 1988.

47- Higgins (Colin), Gorgias, in The Sophists, an Introduction, Edited by Patricia O'Grady, Bloomsbury Publishing Plc, London, New York, 2008.

48- Jeager(W.),The Theology of The Early Greek Philosophers, At Clarendon Press, Oxford, London. 1948.

49- Kahn (Chrles. H.), Anaximander And The Origins Of Greek Cosmology, Columbia University Press, New York, 1960.

50- ____, Pythagoras and The Pythagoreans, Hackett Publishing Company, Cambridge,New York 2001.

51- Kerferd (G. B.), The Sophistic Movement, Cambridge University press, London, 1984.

52- Kirk (G.S.) & Raven (J.E.), The Presocratic Philosophers, Cambridge At The University Press, 1957.

53- Marias (Julian), History of Philosophy,translated from Spanish By Stanley Appelbaum and Clarence C.Strowbridge, Dover Publications, Inc, New York, 1967.

54- Morrison (John), Orphism, in the Encyclopedia of Philosophy, Editor Chief Paul Edwards, Vol. 6, Macmillan Publishing Co., New York & London, 1967.

55- Nahm (M. C.), Selections from Early Greek Philosophy, 3rd Ed, Appleton Century Inc. New York, 1967.

56- Ralph, A History of Western Philosophy, Henery Regneny Company, Chicago,V 1, 1963.

57- Untresteiner (M.), The Sophists, Trans by: K. Freeman, Basil Blackwell, Oxford, 1954.

58- Windelband (W.), History of Ancient Philosophy, Trans by H. E Cushman, Dover publication Inc, London, 1956.

59- Zeller (E.), Outlines of The History of Greek Philosophy, Trans by LR. Plamer, 13th Ed, Dover Publications Inc, New York, 1980.

60- Zeyl (J.),Theism and Atheism, in Encyclopedia of Classical Philosophy, Chicago, London, 1997.